وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
مركـــــز البحوث النفسية

مجلــة العلوم النفسية

مجلــة علميـة محكمـــة معتمـدة

تصدر عن مركز البحوث النفسية

حاصلـــــــة على الأعتماديـــــة

رقـم الإيــداع 614 / 1994 / الرمز الدولي 1970 – 1816

المجلد (35) – العدد (2) – الجزء (3)

وقائع المؤتمر العلمي السنوي السادس والعشرون الموسوم

(الأمن المجتمعي ... التحديات والمعالجات)

للمدة 6 – 7 / 3 / 2024

حزيران / 2024

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
مركز البحوث النفسية

مجلة

العلوم النفسية

مجلة علمية محكمة معتمدة تصدر عن مركز البحوث النفسية

المجلد 35 العدد 2 الجزء 3

ISSN : 1816 - 1970

رقم الايداع : ٦١٤ / ١٩٩٤

الرمز الدولي : ١٩٧٠ – ١٨١٦

حزيران / 2024

مجلة العلوم النفسية
مجلة علمية محكمة

رئيـس التحريــر/ أ.د. لطيـف غازي مكـي
مدير التحرير/ أ.م.د. عــلا حسيــن علــوان

أعضاء هيئة التحرير

الاسم	مكان العمل	البلد
- أ.د. ياسر خلف رشيد الشجيري	جامعة الأنبار / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم العلوم التربوية والنفسية / طرائق التدريس	العراق
- أ.د. أسامة حامد محمد	جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم العلوم التربوية والنفسية / علم النفس التربوي / قياس وتقويم	العراق
- أ.د. كامل علوان الزبيدي	جامعة بغداد / كلية الآداب / أستاذ متمرس (متقاعد) / علم النفس – صحة نفسية	العراق
- أ.د. عبد الرزاق محسن سعود	الجامعة العراقية / كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم العلوم التربوية والنفسية / علم النفس التربوي	العراق
- أ.د. صفاء طارق حبيب	جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد / قسم العلوم التربوية والنفسية / قياس وتقويم	العراق
- أ.د. بشرى عبد الحسين محميد	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ مركز البحوث النفسية	العراق
- أ.د. يوسف حمه صالح مصطفى	جامعة صلاح الدين / كلية الآداب – أربيل / علم النفس العام	العراق
- أ.د. زكريا عبد أحمد	جامعة تكريت / كلية التربية للبنات / قسم العلوم التربوية والنفسية / علم النفس التربوي	العراق
- أ.د. مهند عبد الستار النعيمي	جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية / قياس وتقويم	العراق
- أ.د. إيمان صادق عبد الكريم	جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم العلوم التربوية والنفسية / علم النفس التربوي	العراق
- أ.د. دونلد أوين كامرون	رئيس الجمعية الأمريكية للطب النفسي - الشخصية والصحة النفسية / واشنطن	الولايات المتحدة
- أ.د. أمل عبد الرزاق نعيم المنصوري	جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم الإرشاد التربوي	العراق

الاسم	مكان العمل	البلد
- **أ.د. عصام توفيق قمر**	كلية الدراسات العليا للتربية / المركز القومي لأصول التربية / التربية وعلم النفس	مصر
- **أ.م.د. براء محمد حسن**	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مركز البحوث النفسية / الشخصية والصحة النفسية	العراق
- **أ.م.د. هناء مزعل حسين الذهبي**	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ مركز البحوث النفسية / علم النفس التربوي	العراق
- **أ.م.د. ميسون كريم ضاري**	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ مركز البحوث النفسية / علم النفس التربوي	العراق
- **أ.م.د. صباح عايش بنت محمد**	جامعة الشلف / كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية / علم النفس العام	الجزائر
- **أ.م.د. عبد الناصر أحمد محمد العزام**	جامعة البلقاء التطبيقية / قسم العلوم النفسية / علم النفس التربوي / علم النفس التربوي	الأردن
- **أ.م.د. زينة علي صالح**	جامعة واسط / كلية الآداب / علم النفس العام	العراق
- **أ.م.د. بيداء هاشم جميل**	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ مركز البحوث النفسية / علم النفس العام	العراق
- **أ.م.د. مقبل بن عايد خليف العنزي**	جامعة القصيم الحدود الشمالية / كلية التربية / قسم التربية والاحتياجات الخاصة	السعودية
- **أ.م.د. سهلة حسين قلندر**	جامعة بغداد / كلية التربية ابن الهيثم للعلوم الصرفة / علم النفس التربوي	العراق
- **أ.م.د. رجاء ياسين عبد الله**	جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم العلوم التربوية والنفسية / علم النفس التربوي	العراق
- **أ.م.د. زينب علي هادي**	الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية / قسم العلوم التربوية والنفسية / علم النفس التربوي	العراق
- **م.د. ميس محمد كاظم**	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ علم الاجتماع	العراق

مجلة العلوم النفسية

مجلة علمية محكمة معتمدة متخصصة تصدر عن

مركز البحوث النفسية

جمهورية العراق

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي في مجلة العلوم النفسية :

لمدة ( ) سنة ابتداءاً من .....

الأسم : .....

العنوان : .....

قيمة الاشتراك : .....

طريقة الدفع :- نقدا ( ) شيك ( ) حوالة بريدية ( )

رقم: تأريخ / /

التوقيع : ..... : التأريخ .....

قيمة الأشتراك لعدد واحد	الأفراد :(125000) الف دينار عراقي داخل العراق (100) $ او ما يعادلها خارج العراق للمؤسسات أو المؤتمرات : (90.000) الف دينار عراقي داخل العراق (70) $ او ما يعادلها خارج العراق

شروط النشر في المجلة

أولا : تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية القيمة والأصيلة باللغتين العربية والأنكليزية في حقل مجالات أهتمام المجلة نفسيا وتربويا ، والتي لم تقبل أو تنشر سابقا ،ويتحمل الباحث المسؤولية القانونية في كل القضايا المتعلقة بالأمانة العلمية أذا كان بحثه منشور أو قدم للنشر .

ثانيا: يخضع كل بحث مقدم للنشر في المجلة الى الأستلال الألكتروني على أن لاتزيد درجة الاستلال عن (20) .

ثالثا : يقدم الباحث المقبول بحثه للنشر في المجلة تعهد خطي بعدم نشر بحثه في مجلة آخرى أو حصوله على قبول نشر مسبقا .

رابعا: يقدم البحث مطبوعا على نظام (Word 2007) مصحوبا بالعنوان للبحث مع أسم الباحث الثلاثي واللقب العلمي والأختصاص وأسم الجامعة والكلية والقسم والبريد الألكتروني في بداية الصفحة الأولى للبحث باللغتين مع خلاصة للبحث باللغة العربية والأنكليزية مثبت فيها عنوان البحث واسم الباحث ومكان عمله على أن لاتزيد عن (250) كلمـــــــــة فقط .

خامسا: يجب أن لاتتجاوز عدد صفحات البحث المقدم للنشر في المجلة أكثر من (25) صفحة فقط بما فيها الجداول والأشكال والملاحق ، وبخلافه يتحمل الباحث مبلغا أضافيا مقداره (2) الفين دينار عن كل صفحة أضافية ، ولايتجاوز البحث بعد الزيادة عن (35) صفحة بكل الأحوال .

سادسا: موافقة أثنين من المحكمين المختصين الذين يقومون البحث علميا قبل نشره ، بالأضافة الى تقويم البحث من ناحية اللغة العربية والأنكليزية .

سابعا: يراعى في كتابة البحث الآتــي :

1- الأصول العلمية في كتابة البحث من حيث الدقة في التوثيق والأمانة العلمية في الـعرض.

2- يقدم البحث بنسختين مطبوعة على ورق أبيض (A4) مطبوعة على الحاسوب وعلى جهة واحدة من الورقة مــع قرص (CD)، بالمواصفات الآتية :

- الحاشية العليـا 4.50 سـم .
- الحاشية السفلى 4.50 سم .
- الحاشيـة اليمنى 3.75 سم .
- الحاشية اليسرى 3.75 سم .
- يكون الخط المستخدم نوع (Meersoft Word)، حجم الخط (14) بالنسبة للمتن و(12) بالنسبة للجداول .
- تحتوي كل صفحة على (22) سطر فقط وفقا لبرنامج التنضـيد .
- يكون التباعد بين الأسطر للصفحة الواحدة (1.15).
- تكون الأشكال والجداول واضحة ، وتستخدم فيها الأرقام العربية والنظام العالمــي للوحدات .
- يكون البحث خالي من الأخطاء اللغوية والنحوية ولاتتحمل المجلة مسؤولية ذلك .
- لا تستعمل الهوامش في أسفل الصفحات وأنما يشار رقميا الى المصادر حســب موضوعها في نهاية البحث من خلال ذكر أسم الباحث والسنة وعنوان البحث من جهة النشر والطبعة وتكتب بأسلوب (APA)...مثال
- الهاشمي ،عدنان علي (2009). تحمل المسؤولية الأجتماعية وعلاقتها بأتخاذ القرار لدى التدريسيين في الجامعة ،رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة.....، كلية ..... ، قسم ..... .
- يلتزم الباحث بدفع مبلغ قدره (125) الف دينار من داخل العراق ،و (100) دولار أمريكي من خارج العراق .

- يلتزم الباحث بالتعليمات المؤشرة من الخبراء ،ويعيد الباحث النسخة الأصلية للمجلة مع نسخة جديدة ورقية آخرى مصححة .
- لاتعاد البحوث الى أصحابها قبلت أم لم تقبل للنشر.
- لايزود الباحث بكتاب قبول النشر ، الأبعد التزامه بالتعليمات أعلاه وتسليم النسخ الورقية كافة .
- المجلة غير مسؤولة عن نشر الأبحاث بعد مرور (90) يوم من دون مراجعة الباحث للمجلة والتزامه بالتعليمات كافة .

ثامنا : تحتفظ المجلة بحقها في أن تحذف أو تعيد صياغة بعض الكلمات أو الجمل بما يتلأئم مع أسلوبها في النشر .

تاسعا: تنتقل حقوق نشر البحث الى المجلة حال أشعار الباحث بقبول بحثه للنشـر .

مجالات اهتمام المجلة

1. البحوث والدراسات في مجالات العلوم التربوية والنفسية بفروعها المختلفة والطب النفسي، و الباراسايكولوجي .
2. المؤتمرات والندوات العلمية الوطنية والعربية والعالمية التي تعقد حول التخصصات في الفقرة المذكورة اعلاه
3. نشاطات وفعاليات المركز والمؤسسات الاخرى التي تهتم بالمجالات – الواردة في الفقرة (1).

((في هذا العدد))

ت	الموضوع	الباحث	الصفحة
1	**التحديات الاجتماعية لبطالة الشباب في المجتمع العراقي (دراسة اجتماعية)**	**م. د أحمد باقر جمعة** وزارة التربية / مديرية تربية ذي قار	**22 – 1**
2	**واقع ومؤشرات التعايش السلمي والسلم المجتمعي لدى عينة من المجتمع العراقي**	**أ.د بشرى عبد الحسين** **أ.م.د سيف محمد رديف** **م.د ميس محمد كاظم** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مركز البحوث النفسية	**70 – 23**
3	**العنف السيبراني الموجه ضد المرأة**	**م.م زيد نجم عبدالله العبادي** جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم العلوم التربوية والنفسية	**86 – 71**
4	**الإلحاد الضمني والصريح لدى طلبة الجامعة العراقية (دراسة مقارنة)**	**أ.م.د. براء محمد حسن** **أ.م.د. مؤيد عبدالسادة راضي** **م.م. هدى سعد سلوم** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مركز البحوث النفسية	**104 – 87**
5	**النزعة نحو التحرش الجنسي لدى موظفي الدولة العراقية**	**أ.م.د. مؤيد عبدالسادة راضي** **أ.م.د. براء محمد حسن** **أ.م.د. هناء مزعل حسين** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مركز البحوث النفسية	**118 – 105**
6	**أستراتيجيات التعامل مع الضغوط النفسية (دراسة نظرية)**	**أ.م.د. أسيل مهدي نجم** الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم علم النفس **م.م حازم رحيم شلتاغ** وزارة التربية / مديرية تربية الكرخ الثانية	**130 – 119**

ت	الموضوع	الباحث	الصفحة
7	**الآباء المدمنين وعلاقات أبنائهم الاجتماعية**	**ايمان حسن عبد** هيأة الحشد الشعبي / معاونية الطبابة	**144 – 131**
8	**تأثير الابتزاز الالكتروني على الامن المجتمعي**	**م.م اماني عبد سليم** **م.م هاجر مثنى صالح** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مركز البحوث النفسية	**158 – 145**
9	**الامن الفكري ودوره في تعزيز الصحة النفسية**	**م.د هديل علي جبر** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مركز البحوث النفسية	**172 – 159**
10	**الأمن السيبراني وأثره في الحد من الابتزاز الإلكتروني للأسرة العراقية "دراسة في الآليات والتحديات"**	**م.م.علي علاء حسين الرهيمي** كلية الإعلام –الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف	**198 – 173**
11	**العنف الاسري المدرك وعلاقته بالاتجاه نحو التطرف لدى عينة من المراهقين**	**أ.م.د هناء صادق البدران** جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية	**234 – 199**
12	**الحاجات النفسية للطلبة لأبناء شهداء الحشد الشعبي**	**م.م جولان حسين خليل** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مركز البحوث النفسية	**246 – 235**
13	**الفكر التربوي والتعايش السلمي عند امير المؤمنين–خطب نهج البلاغة– انموذجا**	**حيدر خزعل فهد عكاب** جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد	**274 – 247**
14	**المثالية الزائدة لدى المتفوق**	**م.م طالب خضير عبد** **م.م صدى صالح احمد** وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار	**292 – 275**
15	**المؤسسات الجامعية ودورها في تحقيق أبعاد الأمن المجتمعي**	**أ. د. منتهى عبد الزهرة العزاوي** الجامعة المستنصرية / كلية التربية **م. م. صفاء عبد الحسين** وزارة التربية	**314 – 293**

ت	الموضوع	الباحث	الصفحة
16	**الموقف الفقهي والقانوني للجرائم السيبرانية الواقعة على الاشخاص التهديد والابتزاز نموذجاً**	**م.م : نبأ جواد جبار** **أ.د. مسلم كاظم عيدان** كلية الامام الكاظم (ع)	**342 – 315**
17	**انعكاسات الأمن المائي العراقي على الأمن المجتمعي (دراسة تحليلية)**	**أ.د. محسن عبد علي الفريجي** جامعة المستقبل **أ.د. كاظم موسى محمد** جامعة الموصل	**362 – 343**
18	**التحدي وعلاقته بالخوف من التقييم السلبي لدى طلبة الجامعة**	**أ.د. صفاء حسين محمد علي الاسدي** **م.د عبير مهدي حسن التميمي** الجامعة المستنصرية / كلية التربية	**380 – 363**
19	**القوة الناعمة والهوية الاجتماعية**	**أ.م.د. حوراء محمد علي المبرقع** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مركز البحوث النفسية	**402 – 381**
20	**انعكاس بيئة الإعلام الجديد على القيم الاجتماعية لدى مجتمع الأطفال**	**م.م. ريام حاكم مشجل الكلابي** كلية الإعلام– الجامعة الإسلامية فرع النجف **م.د. إياد عباس الجنابي** كلية الآداب –قسم الإعلام/ جامعة الكوفة	**418 – 403**
21	**الاديان السماوية وموقفها من التربية والتعليم وما دورها في إستقرار الامن المجتمعي**	**م.م. أنور خالد فرحان** جامعة بغداد / كلية التربية للبنات قسم التربية الاسلامية وعلوم القرآن	**436 – 419**
22	**الآليات المقترحة لمكافحة الإدمان على المخدرات من وجهة نظر أساتذة الجامعة**	**م.د هبة فرزدق محمد** **م.د ورقاء كاظم حرابة** **م.م رؤى عباس علي** **م.د نور أحمد عبد الله** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / الجامعة المستنصرية	**450 – 437**
23	**نمو المدن العشوائية وتأثيره في الامن الاجتماعي**	**م.م رشا محمد حسن** الجامعة المستنصرية / مكتب رئيس الجامعة	**466 – 451**

ت	الموضوع	الباحث	الصفحة
24	**دوافع وأسباب أنتشار الشائعات عبر مواقع التواصل الأجتماعي من وجهة نظر أساتذة الجامعات**	**أ.م.د بيداء هاشم** **أ.م.د تهاني طالب** **أ.م.د بشرى عثمان** **م.م هبة حسين** **م.م احمد عباس** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مركز البحوث النفسية	**496 – 467**
25	**العنف ضد المرأة دراسة ميدانية في مدينة بغداد**	**أ.م. صبا حسن عبد علي** جامعة بغداد / مركز التعليم المستمر **م.د. ابتسام هادي** جامعة بغداد / كلية الهندسة الخوارزمي	**532 – 497**
26	**اثار مواقع التواصل الاجتماعي على رياض الاطفال (الاثار السلبية والايجابية انموذجا)**	**أ.م.د. نسرين جواد شرقي** جامعة بغداد / كلية التربية للبنات	**564 – 533**
27	**العُنف الرقمي وانعكاساته على الشباب الجامعي (دراسة ميدانية في جامعة ديالى)**	**م.د حسين إبراهيم العنبكي** وزارة التربية العراقية – المديرية العامة لتربية محافظة ديالى	**604 – 565**
28	**دور الكوادر التربوية في تعزيز الامن المجتمعي (دراسة اجتماعية تحليلية)**	**م د خالد مجيد صالح الحيالي** ديوان الوقف السني ـ دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية	**622 – 605**
29	**دور المناهج التعليمية في تنمية الامن المجتمعي لدى طلبة المرحلة الثانوية من وجهة نظر المدرسين**	**أ.م. رنا فاضل عباس الجنابي** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مركز البحوث النفسية	**654 – 623**
30	**سيكولوجية الصورة الإرهابية (التحليل لنفسي لصورة الإرهابي البغدادي)**	**م. د عقيل حبيب عبيد** مديرية تربية الديوانية / الإرشاد التربوي	**688 – 655**
31	**شذرات من تراثنا المعرفي العربي في تحقيق الأمن المجتمعي النبي والوصي أنموذجاً**	**م.د. طه حسين عيسى** كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة	**702 – 689**

ت	الموضوع	الباحث	الصفحة
32	**المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بالتسامح الاجتماعي عند طلاب جامعة بغداد**	**م.د.رجاء صدام جبر العبودي** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مركز البحوث النفسية	**732 – 703**
33	**مضار ومنافع شبكات التواصل الاجتماعي على الامن المجتمعي**	**أحمد قاسم شاكر** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي– مركز البحوث النفسية	**754 – 733**
34	**مهددات الهشاشة الحضرية والأمن المجتمعي ... دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة بغداد**	**م.د آلاء علي مجيد القيسي** جامعة بغداد – المركز الوطني للدراسات السكانية والديموغرافية **أ.م.د مهند طالب عبد** جامعة بغداد –كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة	**782 – 755**
35	**التدابيرُ البديلةُ للأحداثِ ودورها في الحفاظِ على الأمنِ المجتمعي (دراسةٌ مقارنةٌ)**	**م . د . أياد سعود هاشم المسعودي** كلية الصفوة الجامعة / قسم القانون	**812 – 783**

سيكولوجية الصورة الإرهابية (التحليل لنفسي لصورة الإرهابي البغدادي)

م. د عقيل حبيب عبيد

مديرية تربية الديوانية/ الإرشاد التربوي

المستخلص

كثيرا ما قرأت الظاهرة الارهابية (التطرف العنيف) عبر تاريخ العلوم الانسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا والقانون والجغرافيا ...الخ، ولكن بقيت بعيدة عن علوم حديثة ولدت نتيجة تطور وانتشار التكنلوجيا الرقمية والميديا المتقدمة. لهذا، فقد فرض هذا التقدم الرقمي الهائل واقعا جديدا بالنسبة لظاهرة التطرف العنيف، فقد انخرطت تنظيماتها المسلحة بركب هذا التطور المتسارع الذي حولها من تنظيمات كلاسيكية تعتمد النص المكتوب الى تنظيمات تسعى لتأكيد حضورها الإعلامي عن طريق التقنيات الحديثة خاصة ما يتعلق بالتصوير والحرص على تصدر الصورة لخطابها. وهذا التمدد الرقمي لأفة الإرهاب هدد آمن المجتمعات كلها وخاصة مجتمعنا العراقي وكاد ان يطيح بوحدته الاجتماعية. هذا الاستغلال البشع لعالم الانترنت شهدناه مع تنظيم داعش، فهو لم يترك زاوية من زوايا هذا الفضاء، ولا منصة من منصات التواصل الاجتماعي إلا واستغلها لصالح ايديولوجيته الارهابية أو ما يسمى (الاستخدام المظلم للأنترنت Dark web)، ومن المتوقع امتداد هذا الاستغلال ليشمل تكنلوجيا الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence وتقنيات الواقع الافتراضي Metaverse. ومقابل تصاعد العلاقة بين تلك التنظيمات وبين الفضاء السيبراني تبرز فجوة علمية، تحتم على المختصين ملئها بحثيا. وعليه فإن هذه الدراسة تسعى الى محاولة قراءة تاريخ هذه الحركات والتنظيمات من منظور سيكولوجية الصورة. وستتخذ الدراسة صورة الارهابي ابو بكر البغدادي وهو يعلن (الخلافة) نموذجا.

الكلمات المفتاحية: التطرف العنيف، الميديا الحديثة، علم نفس الصورة.

The psychology of the terrorist image
a psychological analysis of the image of the terrorist al-Baghdadi

Lect. Aqeel Habib Obeid (PhD(.
Diwaniyah Education Directorate/Educational Guidance

Abstract

Terrorism as a phenomenon (violent extremism) is mostly read throughout the history of the
human sciences, such as sociology, psychology, anthropology, law, geography, etc., but it has
remained far from modern sciences that were born as a result of the development and spread of digital technology and advanced media. Therefore, this tremendous digital progress has imposed a new reality regarding the phenomenon of violent extremism, as its armed organizations have become involved in this rapid development that has transformed them from classic organizations that rely on written text to organizations that seek to confirm their media presence through modern technologies, especially with regard to photography and ensuring that the image is at the forefront of their speech. This digital expansion of the scourge of terrorism threatened the security of all societies, especially our Iraqi society, and almost destroyed its social unity. We witnessed this hideous exploitation of the Internet world with ISIS, as it did not leave any corner of this space, or any social media platform, without exploiting it for the benefit of its terrorist ideology, or what is called (the Dark Web), and it is expected that this exploitation will extend to include Artificial Intelligence technology (AIT) and Metaverse virtual reality technologies. In contrast to the escalation of the relationship between these organizations and cyberspace, a scientific gap emerges, which requires specialists to fill it with research. Accordingly, this study seeks to attempt to read the history of these movements and organizations from the perspective of image psychology. The study will take the image of the terrorist Abu Bakr al-Baghdadi declaring the "Caliphate" as an example. Keywords: violent extremism, modern media, image psychology .

المبحث الأول

أولا: المقدمة

تكمن أهمية هذا البحث في تصاعد الاعتماد على التصوير الرقمي Digital photography من قبل المجاميع المتطرفة خاصة المسلحة منها، هذا من جهة، ومن جهة اخرى لاحظ الباحث خلو الساحة البحثية والاكاديمية من الدراسات التي تأتي بمستوى تلك الأهمية التي منحها الخطاب المتطرف للصورة. وربما يأتي كتاب نيل أغرول (التضليل الإعلامي لدى تنظيم الدولة الإسلامية Media Persuasion in the Islamic State) من المبادرات الأولى للاهتمام بهذا الجانب، وإن كان من زاوية محددة بما يطلق عليه المؤلف (الطب النفسي الثقافي).

لقد مكن الفن التصويري الرقمي المتطرفين من انتاج آلاف الصور ذات المحتوى الإرهابي واستهداف جمهور كبير من المؤيدين وغير المؤيدين، فبعد التزاوج الحاصل بين التقنية الرقمية ووسائل الاعلام اصبح بامكان هؤلاء المتطرفين افرادا وجماعات ومؤسسات نشر واشاعت ما يريدون من الشائعات Rumors. فقد ادخل التنظيم الصورة كأداة من أدوات الحرب النفسية التي هدد بها العالم كله. وكل هذه النقاط التي ساهمت بها الصورة في الخطاب الإعلامي لاعش جاءت ضمن عملية ذات اهداف استراتيجية كبرى تتعلق بتأسيس الهوية الهوية الثقافية والسيكولوجية للتنظيم. وقد لاحظ الباحث ان هذا الفعل بلغ أعلى مراحله مع صورة البغدادي موضع الدراسة، وتشير الاحصائيات الى عام 2014 شهد 90000 حساب يمجد داعش أو يديره موالين لداعش. لهذا فان هدف هذا البحث هو الوقوف على التأثير الدعائي الذي لعبته هذه الصورة (صورة البغدادي)، وبالتحديد من خلال الآليات السيكولوجية الدفاعية. ويسعى هذا البحث لاحصاء تداعيات هذه الصورة ضمن حيز بشري يمثله المتطرفين الارهابيين، حيث عبروا عن هذا التأثر في عدد كبير من المواقع الالكترونية والغريدات والمنشورات، وكذلك من خلال تداولهم لهذه الصورة بكثافة وخلال فترة زمنية تتراوح بين لحظة حضورها أي يوم اعلان الخلافة المزعومة في 7/5/ 2014م حتى هزيمة التنظيم في عام 2017م.

صرحت شركة تويتر انها بحلول عام 2015 حظرت اكثر من 125000 حساب اظهرت تعاطفا مع التنظيم. ولاحظت الشركة انه ورغم عمليات الحظر المستمرة يعود اتباع داعش وانصاره في العالم كله بحسابات جديدة (resurgents). كذلك اشارت شركة تويتر الى ان عام 2014 شهد

اعلى نشاط للتنظيم، وانه خلال احتلاله الموصل نشرت حوالي 42000 تغريدة تدعم افعاله (مؤرشف في 22/ 5/ 2019). وهذا النشاط على تويتر جاء بعد حظر التنظيم على منصات التواصل الاخرى. ولقد بقي تطبيق تيليغرام متاحا امام عناصر التطبيق حتى وقت كتابة هذه الدراسة (بلغ تلغرام 45% من نشاطات داعش. يليه تطبيق اللايف جات 30%. يليه تويتر 15%. يليه فيسبوك 10%)، بالإضافة الى تطبيق جاست باست ايضا، والذي يمتاز كالتيليغرام بالسرية وتجنب المتابعة. ورغم كل هذه التطبيقات المتاحة اما عناصر التنظيم قام مبرمجوه بتصميم تطبيق خاص بهم يستخدم اللغة العربية اطلقوا عليه (فجر البشائر)، وقد جلب لهم العديد من التغريدات والصور والمقاطع من حساب تويتر، وحصل التطبيق على عدد كبير من التحميلات من على متجر غوغل بلي. وعلى تطبيق باي بال جمع مبلغ من المال بعد نشر صور وهاشتاكات من مخيم الهول. كذلك امتلك التنظيم عددا من المواقع على الانترنت منها (شبكة شموخ الاسلام)، و(منتدى الاعتصام)، و(السحاب)، و(الملاحم).

لذا، لا يمكن الفصل بين الصورة والايديولوجيا، وذهب علماء وكتاب كرولان بارت وهول Hall الى تعدد الجوانب الايديولوجية للصورة، وان من يملك وسائل الاعلام هو الذي يحدد نوع الايديولوجيا السائدة. لهذا نجد تنظيم داعش الارهابي ضخ عددا هائلا من الصور قبل احتلاله مدينة الموصل، خاصة تلك الصور التي تظهر (اسطورة المقاتل) اداعشي والتي تريد ان توصل رسالة مفادها ان مقاتليه يحبون الموت كما يحب العدو الحياة (ويقصدون القوات الأمنية). ولكن حدثت طفرة نوعية في تاريخ العلاقة بين التنظيمات الارهابية والصورة، فبعد حوالي شهر من احتلال داعش الارهابي لمدينة الموصل وفي يوم الجمعة 5 / 7/ 2014 ومن على منبر مسجد النوري الكبير (الحدباء) بث التنظيم الإرهابي داعش تسجيلا مصورا لزعيمه الملقب (ابو بكر البغدادي)، والذي اعلن بدوره في هذا التسجيل انه قبل منصب الخليفة داعيا المسلمين لطاعته وضرورة (قتال المشركين، وتحكيم الشريعة، واقامة الحدود، وفضل الجهاد، والاستخلاف في الأرض، والهجرة الى دولة الخلافة ....الخ). هذه الصورة – التي حرص التنظيم على تصوير مشهديتها باحترافية تعكس بلاغة الصورة وتحملها ما تريد من رسائل الواعية واللاواعية وضمن انفتاحها على عالم التأويل والمخيال الجمعي والذاكرة التاريخية العربية– هي التي ستشكل فارقا تاريخيا بالنسبة لدور الصورة في خطاب الحركات الارهابية على مستوى العالم. اعقب هذه الخطبة ردود افعال محلية وعربية ودولية واسعة تناقلتها وسائل الإعلام من كافة بلدان العالم، كما وتداولتها

باهتمام مواقع التابعة للجماعات المتطرفة والجماعات الارهابية المسلحة، ومن بين هذا الكم الهائل للصور المأخوذة من خطبة البغدادي ركزت وسائل الاعلام وتلك المواقع على صورة واحدة، وهي الصورة التي تظهر البغدادي واقفا على منبر الجامع بعمامته وثيابه السوداوين، رافعا يده اليمنى، لتختزل هذه الصورة هذا الحدث الخطير (اعلان الخلافة) أو الاعلان عن (قيام الدولة الاسلامية). ومن خلال الاستعانة بعلم نفس الإعلام وعلم نفس الإرهاب وعلم الصورة Iconology سنحاول ان نكشف عن ماهية (الصورة الارهابية)، وكيف تؤثر سيكولوجيا. كما بالمقابل سيكشف بعدا من ابعاد الارهاب –ظل مهملا وخفيا– هو (ارهاب الصورة). ويأتي هذا على خلفية نظرية ومفاهيمية تتألف من مجموعة من المفاهيم مثل: الحرب النفسية، وحروب الجيل الرابع Generation Warfare، وكل ما تتضمنانه من مفاهيم حرب المعلومات، والحرب الإلكترونية، والحرب السيبرانية، وكافة الحروب المختلفة التي تركز على استخدام الثقافة والمعلومات والرموز والمؤثرات والمحفزات والقيم، والصورة والصوت والنص. قبل احتلال الموصل بث القسم الإعلامي لتنظيم داعش عددا كبيرا من الصور (صور ثابتة وصور متحركة على شكل مقطع فيديو) كأحد تكتيكات الحرب النفسية، وقد كشفت دراسة لؤي مجيد حسن (2016) عن وجود علاقة دالة بين الشائعات وسقوط مدينة الموصل. ومع سقوط المدينة بيد التنظيم اطلق عدد كبير من الشائعات والمقاطع المتنوعة التي لعبت فيها الصورة دورا مركزيا، شاركت فيها العديد من وسائل الإعلام ومنها الفضائيات الموالية للتنظيم، وقد سببت ذعرا وخوفا بين افراد القوات الأمنية العراقية، مما ساهم في التعجيل باحتلال عدد آخر من المدن العراقية في غضون ساعات وايام قليلة.

ثانيا: تعريف المصطلحات

1- الصورة

أ- الصورة Image: يعرف علم النفس الصورة بانها إصرار لانطباع حسي ناتج عن إعادة تنشيط الجهاز العصبي المركزي (الحميد، 2005: 15).

ب- الصورة الرقمية Digital Image : وهي الصورة التي تلتقط بآلة التصوير المعروفة بالكاميرا الرقمية.

ت- الصورة الارهابية Terrorism Image: وهي الصورة التي تعبر عن قضية من قضايا الارهاب، والتي يقوم بأخذها الارهابيين انفسهم، كتعبير عن اهدافهم في التحريض بالنسبة للمتطرفين واتباعهم، أو لتخويف الناس العاديين وارهابهم.

2- اللاوعي الجمعي Collective unconscious: يشير مصطلح اللاوعي الجمعي أو اللاشعور الجمعي بنى العقل الباطن التي تشترك فيها البشرية عبر تراكم تاريخي طويل. ويتكون من غرائز ومن نماذج بدائية، لذا يعد بمثابة مخزون هائل من الخبرات البشرية الموروثة والمستبطنة في كل فرد. وقد وضع هذا المفهوم عالم التحليل النفسي كارل يونغ كتطوير لمفهوم اللاوعي الذي قدمه فرويد في نظريته.

3- الإرهاب Terrorism: كل فعل يقوم به فرد أو جماعة منظمة استهدف فرد أو مجموعة افراد أو جماعات أو مؤسسات رسمية وغير رسمية أوقع الأضرار بالممتلكات العامة أو الخاصة بغية الاخلال بالوضع الأمني أو الاستقرار والوحدة الوطنية أو ادخال الرعب أو الخوف أو الفزع بين الناس أو إثارة الفوضى تحقيقا لغايات ارهابية (الوقائع العراقية، 2005: العدد 4009).

ثالثا: مشكلة البحث وتساؤلاته

يتفق عدد كبير من المنظرين والباحثين في مجال الصورة على امتلاك بعض الصور المؤثرة قدرة تكوين رأي عام عالمي بتحشيد الجمهور ودفعه نحو قضية ما. وقد رأينا كيف أن مجموعة قليلة من الصورة غيرت مجرى احداثا تاريخية كبرى كصورة الطفلة الفيتنامية المحترقة جراء الغارات الامريكية، أو صورة مذبحة (ماي لاي) 1968 والتي هزت الضمير العالمي واجبرت القوات الاميركية على الانسحاب من فيتنام، وصورة الطفل الفلسطيني محمد الدرة التي لا تزال تمثل ايقونة لاستشهاد الاطفال الفلسطينيين على يد قوات الاحتلال الاسرائيلي، أو صورة انهيار برجي التجارة العالمية 11 سبتمبر 2001 والتي اعتبرت بداية لحقبة تاريخية غيرت في مفهوم الحرب لم تنتهي حتى هذه اللحظة. كذلك كان لصورة تعذيب سجناء (ابو غريب) صدى عالميا له تداعياته السياسية، وصورة الطفل السوري الملقى الذي لفظته الامواج ميتا على الساحل التركي، وهناك عدد من الصور اخذت نمطا آخر ولكن كان لها نفس التأثير العالمي أو اقوى احيانا وهي صور التفجيرات

أو صور بعض زعماء الارهاب. وإزاء جميع هذه الصور يبرز سؤال: كيف صنعت الصورة معناها؟ ويجيب رولان بارت ان ما يقرر طبيعة المعنى في الصورة هو تنظيم الفضاء فيها أو بشكل خفي تنظيم المادة والشكل واللون. ويقصد بارت ان عملية قراءة أي صورة تمر من خلال ثلاثة مستويات: المستوى الإخباري، والمستوى الإيحائي الرمزي، والمعنى الثالث Third meaning.وعن هذا الأخير يقول بارت هو الحدسي اللاواعي الذي يبقى رهين الاعماق النفسية، ويسميه احيانا الدلالة الإيحائية Connotation meaning او المعنى الاسطوري، حيث الصورة الفوتغرافية تحمل رسالتين الأولى تمثل موضوعها المحايد أو الدلالة الاشارية Denotation meaning، والثانية الاسطورة التي تخفيها، وهي صاحبة التأثير اللاواعي على المتلقي.

لقد توصلت دراسة نيل أغرول (2023) الى ان التأثير التحريضي للمحتوى الإرهابي يعود الى تأثيرات الاتصال الإقناعية، لا السمات الفردية، وإن الانتقال التنظيمي من مرحلة (جماعة التوحيد والجهاد) الى داعش هي تحولات في هوية تلك الجماعات وهو ما يطلق عليه (الشدة الثقافية)، وان عملية التحول الهوياتي تلك ذات عمق خطابي اعلامي. ومع اهمية الجانب النفسي – خاصة اللاواعي– كأحد مكونات معنى الصورة (الدلالة النفسية) ظلت الصورة بعيدة عن الدرس السيكولوجي، على عكس الاهتمام بها وبشكل مبكر في علوم انسانية اخرى كعلم الانثروبولوجيا على سبيل المثال، حيث تم اعتمادها منهجا دراسيا ومدخلا أثنوجرافيا لدراسة جماعة أو شعب من الشعوب منذ ايام مارغريت ميد Margaret Mead . وقد اصبح التصوير الاثنوجرافي واحدا من اهم الأدوات التي اعتمدها الباحثون الانثروبولوجيون في توثيق ملاحظاتهم الميدانية، وكذلك لتأكيد وصفهم مجتمع الدراسة (الجوهري وآخرون، 2004: 335).

وعلى أثر هذا حذر المتخصصون من بقاء الخلافة سيبرانيا (الخلافة السيبرانية) تحرض على هجمات وتكسب اتباع (الاندنبندت، 30 يوليو 2019. كذلك المركز الأوربي لدراسات مكافحة الارهاب والإستخبارات– وحدة الدراسات والتقارير في 27 ديسمبر 2019). اما منصات داعش الاعلامية فمن اهمها (وكالة اعماق للأنباء) و(مركز الحياة الإعلامي) ينشر بلغات متعددة. وكانت المنصتان تعملان من الأراضي العراقية والسورية، وكان لهما دورا في نشر دعاية داعش ورسائله، وفي تجنيد اعداد كبيرة من المقاتلين. ومؤسسة (الفرقان)، و(صحيفة النبأ) و(قريش للإعلام)، و(ناشر نيوز)، كذلك اصدر عدد من المجلات كمجلة (دابق Dabiq) التي تصدر بالعربية والانكليزية، ومجلة (رومية) الالكترونية. كذلك استغل التنظيم التطبيقات الاعلامية على (BCM)

والتي بلغت 10 قنوات، ويتيح هذا التطبيق لأعضاء داعش جمع الأموال والاحتفاظ بالصور ومقاطع الفيديو ونقل معلومات مشفرة، هذا بالإضافة الى انشائه الكثير من (الكروبات) لنشر الصور والفتاوى والتعليمات، وانشأ ايضا غرف الدردشة المغلقة بين اعضائه. واللافت للنظر ان الصورة بشكلها الثابت والمتحرك كانت حاضرة في كل هذه الوسائل والأدوات الاعلامية والاتصالية لداعش، وكما لاحظ الباحث فان صورة البغدادي يوم اعلانه الخلافة من على منبر جامع النوري الكبير في الموصل 2014/7/5 كانت الأكثر تداولا في وسائل الاعلام سواء كانت التابعة للتنظيم، أو وسائل الاعلام العالمية.

لم تبقى وسيلة اعلام سواء كانت عائدة للمتطرفين أو للمؤسسات العادية لم تنقل صورة البغدادي في تغطيتها لخبر اعلانه الخلافة. ان نقل اخبار العمليات وعرض مشاهدها وعرض المحتوى الارهابي وما يرافقه من اشاعات ودعايات مقصودة وغير مقصودة يتسبب في حالة من الذعر والخوف العام لدى الجمهور، والحضور المكثف للحدث الارهابي وما يحيطه من اجراءات أمنية مشددة، خاصة في الايام التي تشهد عمليات كبرى، يخلق رد فعل عكس ما تريد له وسائل الاعلام العالمية. ويمتلك تنظيم داعش عدد كبير من التقنيين المحترفين يقومون بتسجيل فيديوهات التنظيم، ومن خلال مراقبة منصاتهم في تويتر فيسبوك وتيليجرام ويوتيوب نلاحظ تركيزهم على تصوير عمليات الذبح والشنق والحرق.

وكما بات من الواضح ان الصورة تلعب دورا مركزيا في جميع تلك العمليات، خاصة بالتأثير النفسي على المتلقين. ان الخوف الذي تسببه الصورة الارهابية له ابعاده النفسية العميقة التي تتخذ عدة طرق، منها انتقال العنف للشخص وجعله جزءا من حياته، وخاصة بالنسبة للصغار والمراهقين، وقد يتسبب الخوف الشديد ان يقتنع الشخص الذي لديه ميول تطرف بخطاب التنظيم كآلية لاشعورية للتخلص من ضغط الخوف والقلق والتوتر وفقدان الأمان، فيتماهى مع القاتل كحيلة يتجنب من خلالها شره، او ان يخفي الآخرين آرائهم أو وجهات نظرهم في اعمال التنظيم حتى وان كانوا بعيدين عنهم كآلية دفاعية لاشعورية. وهذه الافكار قد فهمها تنظيم كالقاعدة، اما داعش فقد جعلها احد أهم اهدافه الايديولوجية وتكتيكاته القتالية. فكان يطبق في قتاله ما يصطلح عليه (تكتيك الصدمة والرعب). وقد توصلت دراسة (لؤي مجيد حسن، 2016) الى ان سبب انهيار القطعات العراقية في مدن كصلاح الدين والرمادي يعود في جزء منه الى ما اشاعه التنظيم من اخبار، وما بثه من صور.

تاريخيا يمكن ارجاع علاقة الصورة بعلم النفس الى الصور المستخدمة في الاختبارات الاسقاطية Projective tests مرورا بدراسة الآثار النفسية للصورة في وسائل الاعلام والاعلان وشبكات الانترنيت ...الخ. اما هذا البحث فيذهب الى ابعد واعمق من ذلك داخل الصورة ذاتها، ما هو ممثل في الصورة من عناصر تكوينية وعلاقات تنظم تلك العناصر بالإضافة الى ما تستبعده الصورة ايضا. ان ما تستبعده الصورة يتبع آليات اللاشعور في الاستبعاد والاقصاء، فقد نبه غي غوتيي Guy Gauthier الى ثنائية المجال Champ وخارج المجال Hors Champs حيث ان الرابط بين المجال وخارج المجال يتحكم جزئيا في اشتغال الصورة، فقد تثير الصورة رغبة تتخذ لاحقا شكل سرد بالغ الأهمية من خارج المجال (غوتيي، 2012: 34).

لقد وفرت التكنلوجيا الرقمية لتلك التنظيمات سرعة الوصول الى ابعد الاهداف واختصرت ابعد المسافات، ووفرت لها جهدا ماديا وبشريا في كسب الانصار والمؤيدين (التجنيد الالكتروني)، وقدمت لها دعاية مجانية أو شبه مجانية، وجنبتها وصول الاجهزة الأمنية اليها (هناك عدد من البرامج التي صممت لتحمي هوية المستخدم مثل متصفح TOR كجزء من تقنيات ما يسمى الانترنيت الأسود او المظلم Dark Net . ففي عام 2013 اكتشفت وكالة الأمن القومي الأمريكية الاتصالات المشفرة بين أيمن الظواهري زعيم القاعدة وناصر الحويصي في اليمن، بعدها اكتشفت الوكالة ان شبكة الانترنيت كانت هي الوسيلة الاكثر اعتمادا من قبل تنظيم القاعدة. وهو نفس الأمر الذي اتبعه تنظيم داعش، كما في تنسيق عملية باريس 2015. وقد صرح بافيل دوروف الرئيس التنفيذي لتلغرام بان داعش يعتمد اعتمادا كبيرا على تطبيق تلغرام، باعتباره التطبيق الأكثر امنا لعناصر التنظيم والاسهل في الوصول)، ومكنتها من جمع الأموال وتوزيعها بواسطة العملات الافتراضية وتبادل الوثائق خاصة المزورة لتسهيل مهمة انتقالهم، وشراء الاسلحة وتوزيعها وبيع النفط والآثار...الخ. في عام 2020 دفع هذا الأمر 48 دولة من دول العالم الى التصدي بقوة القانون لهذا النفوذ الالكتروني الارهابي وذلك بفرض رقابة واتخاذ اجراءات قانونية ضد الشركات المسؤولة عن شبكات الانترنيت. ففي العراق على سبيل المثال قد انتهى تنظيم داعش على الأرض لكن وجوده فكريا وتهديده أمنيا لا يزال قائم والسبب ان جميع افكاره (من كتب ومجلات، وخطب القادة، ومقاطع فيديو وصور عملياته ومقاتليه...الخ) محتفظ بها في شبكات الانترنت فلم يتخلى عن فكرة بناء دولة افتراضية Budding the virtual، وهذا يعني بقاء عوامل الخطر قائمة، فهذا

(الخزان الالكتروني) سينفجر بأي لحظة، خاصة لحظات الاختلال الأمني التي كثيرا ما عصفت بالعراق ليطل منها شبح داعش.

وانطلاقا من هذه المفاهيم والتصورات نصيغ السؤالين الأبرز لهذه الدراسة:

- كيف تنجز الصورة الارهابية تأثيرها النفسي، تحريضا ودفعا بالنسبة للمتقبلين، وارهابا وذعرا لغير المتقبلين؟.
- ما هي خصائص الصورة الارهابية، أو كيف يتشكل المعنى النفسي للصورة الإرهابية؟.

رابعا: أهمية البحث

تسعى هذه الدراسة الى مجموعة من الاهداف التي تحدد أهميتها:

دراسة الصورة سيكولوجيا بغض النظر ما إذا كانت صورة فوتغرافية او متحركة، وسواء كانت في وسائل الاعلام او صورة رقمية (التصوير الرقمي Digital photography) يتم تداولها عبر شبكات الانترنت. ومن خلال اطلاع الباحث لم يجد ان هذا الحقل المعرفي قد كتب فيه بما يتلاءم واهميته.

كذلك تسعى الدراسة الى بحث أثر التفاعل بين الصورة والمتلقي، ونتائج هذا التأثير النفسي (تشكيل مواقفهم أو اتجاهاتهم أو آرائهم حول الكثير من القضايا، خاصة قضايا الرأي العام) على سلوك الافراد، سواء كانوا ممن يحمل فكرا متطرفا، أو لا يحمل، فالجميع قد تأثر بالعاصفة الهوجاء للتنظيمات الارهابية خاصة تنظيم داعش.

ان دراسة الصورة سيكولوجيا جاء بسبب أهمية الصورة نفسها في حياتنا العامة والخاصة، فيمكن تلمس تلك الأهمية من خلال الوجود الطاغي للصورة في حياتنا المعاصرة، والتي يكاد أن لا يوجد فيها موضع يخلو من الصورة أو من تأثيرها أو من أثر من آثارها. وهذا دفع عدد من العلماء والفلاسفة لوصف عصرنا بأنه (عصر الصورة)، وحضارتنا (حضارة الصورة) كما يقول رولان بارت Barthes. ان كل هذه العوامل تجعل من الصورة صاحبة تأثير فكري وانفعالي وسلوكي، في صياغة وعينا ولاوعينا، وفي تشكيل رؤيتنا لأنفسنا والعالم. يتوصل دوبريه بعد دراسة تاريخية للصورة الى انها تمتلك سلطة إنتاج الآثار المعرفية والقدرة على تغيير سلوك البشر (دوبريه،

2013). وبعد التطور الالكتروني والتكنلوجي اختصت الصورة الرقمية Digital Image بأهمية استثنائية استغلها التنظيم لصالحه.

ستتخذ هذه الدراسة من أهمية الاعلام الكلاسيكي والرقمي مدخلا مفاهيميا لتبين كيف نجح إعلام التنظيمات الارهابية وبالاخص داعش من خلال توظيف الصورة في التأثير بفئات كبيرة ليس فقط من المجتمع المسلم، وليس فقط من المتعاطفين، بل امتد تأثير الصورة الارهابية ابعد من ذلك بكثير، ولنا ان نزعم ان حالة الرعب والهلع التي تسببها عرض صورة تفجير برجي التجارة ومبنى وزارة الدفاع الامريكية من قبل تنظيم القاعدة الارهابي، أو اعلان الخلافة على أرض العراق وسوريا من قبل داعش الارهابي يفوق تأثيره لدى الارهابيين والمتعاطفين والمتطرفين والاتباع. ويعزي البحث سبب ذلك الى جملة من الاسباب النفسية، كما سيبين ذلك.

كشف تحليل صورة البغدادي سيكولوجيا عن طغيان خصيصة الشر كأهم مكون دلالي مهيمن على الصورة، فقد تعرف العالم على هذا الشخص بالجرم، وهو يرتكب افعاله الشريرة. أثثت هذه الصورة مجالها الإدراكي والمرئي والخطابي عبر فعل القتل والتدمير والتفجيرات. لكل صورة وظيفة محددة بشكل مسبق ولاحق، الصورة نجحت في وظيفتها في تنميط صورة الجهادي/الارهابي في ذهن الاتباع والمتأثرين من غير الاتباع، نجاح الصورة متاتي من فعاليتها في عمل مطابقة بين ما تظهره الصورة وهو البغدادي (الدال) وبين الموضوع الممثل فيها (المدلول)، في سلسلة من التصورات والتنميطات (مصادرها متنوعة الثقافة الحالية، الذاكرة الجماعية، المخيال الجمعي ...الخ) التي تم تجهيزها لهذا الغرض رسم صورة البطولة. حيث تم تصوير البغداداي على انه الخليفة العادل والفاتح، وداعش هي مثال الدولة الاسلامية التي تطبق شرع الله . وغيرها من التصورات والافكار التي ظهرت في الخطاب الاعلامي لداعش خاصة الفيديوات المسجلة من قبل داعش أو تلك التي سجلتها سائل الاعلام الاخرى حين تلتقي بهم. تعيد هذه الصور بالنسبة لمستهلكها انتاج عدد من الثنائيات: الحاكم/ المحكوم، المسلم/ الكافر، الموت/ الحياة، ...الخ. لهذا فالصورة تمثل خطاب، وتنميطية قيمية، وفلسفة حياة أو رؤية العالم. ان ما يميز الصورة موضوع الدراسة انها عبرت حدود الإشهار الى (العالمية) و(التاريخية) بسبب امتلاكها قوة الخطاب أو ما يسميه بانوفسكي Panofsky "رؤية العالم التي تنطوي عليها الصورة"، وهو ما يقابل عنده المستوى الثالث (التحليل الإيقوني) من مستويات تحليل الصورة (جولي، 2011).

خامسا: منهج البحث

ستعتمد الدراسة المنهج الوصفي فهو المنهج الذي يحقق اهداف هذه الدراسة باعتباره يدرس الظاهرة نفسها ويصفها وصفا دقيقا، محللا خصائصها ومفسرا نتائجها. اما أداة الدراسة الوصفية فهي دراسة محتوى صورة البغدادي وهو يعلن (الخلافة) وقيام (الدولة الاسلامية) من خلال عدد من وسائل داعش الاعلامية التابعة لداعش ووسائل الاعلام الوطنية والدولية. واعتمد تحليل المحتوى على نظرية التحليل النفسي وفقا لنموذج كارل غوستاف يونغ Jung ومفهومه اللاوعي الجمعي Collective unconscious. وهي صورة لها اهميتها الكبيرة، فقد شغلت الرأي العام الدولي لفترة من الزمن، وكانت سببا في تصنيف المسلمين لفترة طويلة ووضعهم في قوالب ذهنية نمطية سلبية، وكذلك اعطت مبررا لحروب عالمية صنفت تحت اسم (الحرب على الارهاب). كذلك مثلت هذه الصورة احد اهم تكتيكات الحرب النفسية للتنظيم ضد قواتنا الأمنية، وبالتالي فقد لعبت دورا مع الشائعات التي رافقتها في انسحاب قطعات عديدة وسقوط مدن (الرمادي وتكريت) بيد التنظيم الارهابي. لقد اختار الباحث صورة البغدادي باعتبارها تمثل الصورة الأكثر انتشارا عبر وسائل الاعلام وعبر شبكات الانترنت، وهذا ما يمكن ملاحظته بسهولة منذ اليوم الأول لأطلاق هذه الصورة في 5/7/ 2014 ، والتي تتضمن اعلان البغدادي لقبول (الخلافة) وقيام (الدولة الاسلامية).

المبحث الثاني

أولا: ارهاب الانترنت

يعكس استخدام تنظيم داعش للفضاء الإلكتروني تميزا واضحا عن غيره من الحركات المتطرفة، ويعد هذا مؤشرا على احترافية اعضاء هذا التنظيم، والذي بلغ ذروته في كثرة منابره الاعلامية على شبكة الانترنت واختراقه وسائل التواصل لقيادات أمنية وتهديدهم، ومنها ما حدث في عام 2015 من اختراق التنظيم وما يسمى (الخلافة الإلكترونية) الاجهزة الخاصة بالقيادة المركزية للولايات المتحدة، وسرقة بيانات مهمة لعشرات المسؤولين العسكريين الأمريكيين، وترك لهم رسائل تهديد شديدة، تسببت بحالة فزع وذعر كبير ليس فقط بين صفوف الجيش الأمريكي بل بين المواطنين ايضا (مهدي، 2021: 156).

لقد استجابت بعض الدول الى هذا التطور الحاصل فادخلت ضمن استراتيجيتها لمكافحة التطرف والارهاب تقنيات الكترونية دامجة بين العمليات الالكترونية والقدرات العسكرية التقليدية والتخطيط الاستراتيجي للعمليات العسكرية، وكانت لديها فرق إلكترونية متكاملة ذات قيادة اقليمية تنتشر خارج وداخل الولايات المتحدة، وهذا النوع من الاستراتيجيات القتالية يسمى (العمليات متعددة المجالات Multi Domain Operations) والتي برز نموذجها في العملية التي اطلقت عليها الولايات المتحدة (العزم الصلب) عام 2017 (مهدي، 2021: 165). ويمكن قياس اعتماد تنظيم داعش على استخدام الاعلام الالكتروني بشكل كبير من خلال كثرة منابره الاعلامية تنوعها، فقد اصدر عدد من المجلات الشهرية والاسبوعية، باللغة العربية (النبأ) واللغات الاجنبية (دار السلام، وآروميه، دابق)، والافلام الوثائقية (هذا وعد الله)، والافلام الدعائية (صليل الصورام، وهدم الأسوار، رسائل من أرض الملاحم)، ووكالات الانباء، والمحطات الاذاعية، وغيرها. ومن اشهر هذه المنصات هي: مؤسسة آفاق، الفرقان، الأشهاد، الفرات، النصرة الشامية، الوعد، البتار، الحياة، الخيال، الصمود، جيش ابناء الخلافة، حفيدات عائشة، الغريب، شهداء اليرموك، إبن تيمية للإعلام، انصار الخلافة في غزة، شرق افريقيا، صناعة الرجال، الجهاد، اليقين).

جاء الاعلام كجزء من سياسة داعش، لهذا انتجت هذه المزاوجة بين عقيدة التنظيم القتالية والإعلام واحد من الانماط الارهابية التي فاجأت العالم، وهو النمط الارهابي المسمى (الذئاب المنفردة The Lone wolves)، فهذا النمط كما هو معروف مقطوع الصلة التنظيمية المباشرة مع التنظيم، ولكنه يرتبط معه فقط عبر شبكات الانترنت، واحيانا لا يكون له حتى هذا الارتباط، بل يعتمد فقط على ما وضعه التنظيم من فيديوهات على الشبكة العنكبوتية.

وامتاز انتاج داعش الاعلامي بارساله رسائل عنفية أو ترهيبية تصور اعماله الوحشية بطريقة احترافية ويصاغ هذا الانتاج بشكل مسرحي استعراضي جذابة بحيث يعمل على تسهيل تقبلهم الأحداث العنيفة قريبة على ألعاب الفيديو التي يلعبونها والافلام والمسلسلات التي يشاهدونها في نشرات الأخبار، ويركز المحتوى الاعلامي لداعش على الصور التي ينتصر فيها جنوده. لهذا وبتنوع هذا المحتوى – والذي يتضمن الصورة الإرهابية– فقد تنوع الجمهور المستهدف لداعش على الانترنت، ويمكن القول القول ان التنظيم تمكن من تحقيق عدد من النجاحات حيث تنوعت الأدوات التي يعتمدها التنظيم في استراتيجيته الاتصالية بحسب الفئات، واللغات الناطقة بها، والتوقيت والطرق المتبعة. وبالمقارنة بين داعش والقاعدة فقد وضع داعش ضمن اهدافه المتلقي

الاجنبي، ولم يكتفي كالقاعدة بالمتلقي العربي، وتجنيد المراهقين من مدمني الألعاب الإلكترونية عبر مخاطبة اللاوعي لديهم، والتركيز على الهوية بحيث تصبح راية داعش مألوفة لدى هؤلاء المراهقين، كذلك مصطلحاتهم من قبيل (الدولة الاسلامية)، و(خلافة)، وايضا طريقتهم في اللباس والعيش والتعامل مع المرأة والنظرة الى الحياة، وغير ذلك (مهدي، 2021: 155).

جاءت الصورة الارهابية كجزء لا يتجزأ مما يبثونه على شبكات الانترنت في مواقعهم وحساباتهم ووسائل اعلامهم، وهي الظاهرة التي بات يطلق عليها اسم (الجهاد الإلكتروني Syber Jihad). وعلى الرغم عدم اهتمام الباحثين بالصورة الارهابية مقارنة باهتمامهم بالنصوص الارهابية، إلا أنها اصبحت واقع حال فرضته وسائل الاعلام والميديا التي منحتها حياة جديدة وعمرا آخر، سواء كانت هذه الوسائل رافضة لها كما في نشرات الاخبار العالمية، او مؤيدة لها كجزء من دعاية التنظيمات المتطرفة والمتأثرين به. واكدت العديد من الدراسات كدراسة (Warren, 2010) ارتفاع نسبة السلبيات المرافقة لشبكات الانترنت (القرصنة، نشر الكراهية والعنصرية، والمواد الإباحية ...الخ) إلا ان من أهم تلك السلبيات واخطرها هو انتشار الإرهاب عبر الانترنت، لهذا اكدت الدراسة على ضرورة إزالة مثل هذه المحتويات من الانترنت وتوجيه مؤلفي المناهج الدراسية خاصة الجامعية الى تنبيه الطلبة حول مضار الانترنت ووضع مواثيق اخلاقية لهذا العصر الرقمي وتفعيل ما يسمى الأمن المعلوماتي. وذهبت دراسة لين وآخرين (Lin , Others: 2007) الى تفضيل الإرهابيين احدث الوسائل التكنلوجية في الانترنت لتحقيق اهدافهم في الاتصال والدعاية وجمع المعلومات، لهذا وبالمقابل على الأجهزة الأمنية المكلفة بمكافحة التطرف والارهاب اتباع احدث التقنيات. وقد اطلق باري كولن Collin على هذا النوع من الارهاب في الانترنت (إرهاب الفضاء المعلوماتي) لتمييزه عن الإرهاب التقليدي، فمن المعروف ان الأول يعتمد على شبكة الانترنت لتحقيق اهدافه العدوانية وليس الواقع المادي.

ويمكن ان نفهم ارهاب الانترنت بواسطة بعض من مفاهيم علم النفس، حيث يعتمد هذا النوع من الارهاب على إمكانية التسلل الى الشباب من خلال وقت فراغهم أو استغلال مشاعرهم ضد مجتمعاتهم. ويستغل ارهاب الانترنت ثقافة المجتمع نفسه فيغطي افكاره بهذه القيم طارحا نفسه كمدافع عن العقيدة والعرض والناس، وهو في الحقيقة يخدم اغراضا سياسية لبعض الجماعات وكما في ارهاب القاعدة وداعش فانه ينفذ المخططات الارهابية العالمية International terrorism.

ثانيا: مدخل مفاهيمي

لقد مر تاريخ طويل على وجود الصورة بيننا، حتى يمكن القول انها وصلت الى بداية ازدهارها وهيمنتها على العديد من مجالات حياتنا، وقد سمي عصرنا (عصر الصورة). وقد قال الفيلسوف الفرنسي رولان بارت "إننا نعيش حضارة الصورة". وقد قدم لنا التطور التكنلوجي الصورة الرقمية التي اقتحمت حياة الناس حتى ادق تفاصيل حياتهم وخصوصيتهم. وهذا التاريخ الطويل والانتشار في حياتنا جعلا من الصورة تشتبك معنا سيكولوجيا وقيميا وفكريا. ان اختراع الصورة الرقمية واضافة التقنيات التي تدخل التغيير عليها كل فترة من الزمن جعلا الفلاسفة والمتخصصون من امثال بول فايريلو Virilio وجوناثان كراري Crary يصفون عصرنا (عصر ما بعد الصورة الفوتوغرافية) حيث فقدت الصورة مرجعيتها، وادخلت المتلقي أو المشاهد الى عملية انتاج الصورة، وانتفى دور المراقب. وفي هذا الصدد يقول ميتشل Mitchel "إن للشبكة العالمية لأنظمة الصور المرقمنة تتسارع وتشكل ذاتها بصمت كموضوعات منجرفة لإعادة تشكيل العين" (باديس، والنجاعي، 2021: 122).

اما من الناحية النظرية (الأبستمولوجيا Epistemology) فقد اشتبكت الصورة مع حقول ونظريات ومفاهيم شتى، بل قد حملت الصورة بالعديد من الخطابات والمضمرات التي تحتاج تفكيكا وكشفا يأتي من قبل ميدان علمي محدد، فكان علم الصورة أو الايقونولوجيا Iconology . ان العروض التكنلوجية Technospectacles والوسائل الحديثة (الميلتي ميديا) والانترنت جعلت الصورة متعددة الابعاد، فمزجت اكثر من لون كالسماع والرؤية والرؤية المتحركة (الشريط المرئي) مع بعض، كذلك جمعت احيانا اكثر من وظيفة في وسيلة واحدة فالموبايل مثلا فيه راديو وتلفزيون وفيلم سينمائي. ان كل هذه التطورات الحديثة اعتمدت الصورة في خطابها.

لهذا ركز هذا البحث على دراسة الصورة بما يتجاوز حدودها الفنية والتقنية، بل وحتى دلالتها الفوتوغرافية، ليصل بها الى مفهوم سيكولوجي. وحينما نبحث الصورة بهذا الشكل فإننا نشير الى كونها تشكل رؤية للعالم، وهذا يبرز لدينا طرفين: الأول طرف الصورة ذاتها (الصورة كوجود قائم بذاته. الطبيعة الايقونية للعالم، وجود يتحقق بطريقة صورية أو على شكل صورة)، والطرف الآخر هو سياق التلقي الذي يمثله جمهور الصورة، وهما بالحقيقة حقل دراسي واحد يمثله وجود الصورة كمنطق ثقافي مهيمن، تم الفصل بينهما لضرورات بحثية ليس إلا. فالصورة في النهاية هي تأليف

يجمع الايديولوجيا واليوتوبيا والسرد والهوية والتاريخ والوثيقة، وهذه الحقول والمجالات تخرج من حدود الصورة الى حدود الانسان المتلقي/ القارئ للصورة. وكما عبر ريكور حول امكان جعل السرد وسيطا بين الإنسان والعالم، كذلك هي الصورة تعبر عن السرد البصري، خاصة بعد هذا التطور الرقمي الهائل وظهور الموبايل اصبحت الصورة وجودا يتوسط بين الذات والآخر، وبين الانسان ونفسه. وانطلاقا من العام (الانطولوجية) الى الخاص سيتتبع البحث الامتدادات الخطابية التي تنبثق بطريقة سيكولوجية من مركز الصورة الى المتلقي، بتوسط من وسائل الاعلام الكلاسيكية كالتلفزيون ووسائل الاعلام الأحدث في شبكات الانترنت. فالصورة هنا تمتلك آلياتها الخاصة لبناء المعنى (من جهة الوجود الاجتماعي للصورة، الصورة كممارسة ثقافية وخطابية) وانتاج المعرفة (الصورة كنظرية معرفة Epistemology).

يقوم وجود الصورة ودورها على تحويل دال لفظي الى دال بصري، وهي تتمثل الاحداث والاشياء بصريا. أي تمنح الحدث بالإضافة الى حياته الواقعية حياة رمزية اطول عمرا، تضاف الى وجوده اللغوي واللساني. ان عصرنا مبني بواسطة الصور وطريقة بناء العالم أو تمثلنا له تتبع النموذج المعرفي للخطاب الصوري. وكذلك تعني ان عصرنا يفكر بطريقة صورية فقد أحال كل حدث الى صورة أو مجموعة صور، هذا هو التحول الجذري الذي انتاب عصرنا وفصله عن العصور السابقة، فكما يذهب لوبرتون في كتابه (انثروبولوجيا الجسد والحداثة) الى ان تطور المجتمعات الأوربية منذ عصر النهضة يظهر في التحول من الفم الى العين فهي التي ستأخذ دفة الثقافة، وصارت الصورة ذاكرة ومنظورا للرؤية، كما كانت الأسطورة، يوما ما، وكما كانت الرواية، وكما هو الرمز الآن (يحظى الرمز باستثنائية تجعله المستقر الاطول لروح التاريخ). نستطيع إذن ان نتحدث عن الصور/ الصور باعتبارها اساطير العصر الحديث ورمز القوى الروحية المتفجرة داخلنا. وكما لا يسأل الناس عن السبب (المنطقي) وراء إيمانهم بالاساطير، كذلك يتقبلون الصورة، ويتفاعلون معها، دون ان تشير الى المنطق أو الحقيقة، بل أبعد من ذلك، ربما السبب كامنا في اللاشعور.

لقد حدثت الانتقالات من الصوت والكتابة الى الصورة، حيث ولدت الحاجة الى وسائل الاعلام والاتصال التي أججت فينا هذه الرغبة (الثقافية الفلسفية والنفسية والاجتماعية والسياسية) الصورية أو الأيقونية. وكما يذهب ميشيل الى ان ما بعد الحداثة هي حقبة الامتصاص لكل أشكال اللغة على هيئة صور، وصور لا أصل لها" (عبد الحميد، 2015: 42). ومع الانتقال من عصر

الكتابة الى عصر الطباعة ثم حلول عصر الصورة صارت الصورة فلسفة العالم والنموذج الذي تتبعه المعرفة الحديثة. فقد حلت الصورة المرئية محل صورة العالم World picture أو رؤية العالم التي تعبر عن فلسفة حقبة زمنية، وصار العالم نفسه عبارة عن صورة. صار لدينا صورة تفكر في صورة، وهذه الصورة تفكر ايضا في صورة، وهكذا صرنا نعيش عصر الصورة بحق.

ومن خلال هذا المدخل المفاهيمي للصورة سوف يتعامل هذا البحث مع الصورة الارهابية، ليكشف كيف تحولت هذه الصورة الى نسق ثقافي. وعلى الرغم من أن هذا النسق هو جزء من ثقافة الارهاب الاوسع والاقدم، لكنه يتمتع باستقلال نسبي (تجاوزت الصورة الارهابية الأدوار الوظيفية كالدعاية والاعلان) قادر على اعادة صياغة الواقع، وايضا يتمتع بسلطة (معرفية) تفوق في بعض الاحيان سلطة الخطاب الايديولوجي الذي ينتمي اليه، والذي يترك لها في بعض المواقف ان تنطق باسمه، وان تقوده وتدير عملية صناعة الحدث واحتكار قول الحقيقة. ويزعم البحث ان صورة البغدادي التي سوف يحلل محتواها امتلكت قدرة قيادة الخطاب الارهابي وصناعة الحدث الارهابي لفترة زمنية طويلة نسبيا، وإنها امتلكت ميزات مهمة كالإشهار والشهرة العالمية، أو الصفة الأيقونية (حيث صارت ايقونة بصرية للحدث الذي تمثله)، او الصفة الذهنية (صارت صورة ذهنية أو معادل ذهني للخطاب أو الفكر أو الايديولوجيا التي تمثلها)، وهذا المستوى الذي تبلغه أي صورة يعتبر أعلى مستوى من مستويات التأثير، واقصى ما تصل اليه الصورة عبر تاريخها.

بالإضافة الى اهمية الانتشار والإشهار بالنسبة للصورة هناك ايضا اهمية الإدراك كبعد من ابعاد بناء الصورة، وهو بعد نفسي بامتياز، خاصة فيما يتعلق بالصورة الذهنية التي هي مدلول الصورة المرئية كذلك صورة مدركة عن العالم والاحداث والمؤسسات والأفراد. يمثل الادراك الوسيط الرابط بين ذات الفرد والعالم المحيط به، ويتكون من مجموعة من الصور والخبرات. ومن الناحية النفسية يمكن تقسيم الصورة الى صورة خارجية وهي الصورة الفوتغرافية والرقمية، والصورة الداخلية او الذهنية.

وقد انجز الباحثين العديد من الدراسات التي تناولت تأثير الصورة الصحفية على المتلقين، فمثلا ذهبت دراسة J.Shree (1990) للتعرف على تأثير الصورة الصحفية على العمليات الإدراكية للقارئ، وقد توصلت الى ان الألوان تؤثر على كيفية تصفح القارئ للصحيفة، وانه إذا ما تم توظيف الألوان بطريقة عملية – وفقا لتأثيراتها السيكولوجية والاجتماعية– فإنها تحقق الغاية. كذلك اجرى عدد من الاساتذة في جامعة كولومبيا (1997) دراسة حول تأثير نشر الصور الجديدة

في ذاكرة القراء، وكانت النتيجة ان الصورة الصحفية تميل لأن تفقد تأثيرها الفعال على القارئ بعد تكرار مشاهدتها. وان علاقة ايجابية بين جدة الصورة أو حداثتها وعناصر تفضيل مشاهدتها، وزيادة زمن المشاهدة، وسهولة تذكرها. اما دراسة Gilbert and Scheduler ان الصور التي بدون ألوان تحتاج لإدراكها زمنا اطول، وان معدل تذكر الصور المعقدة أو المركبة تزيد عن الصور البسيطة (حامد، 2012). اما الصورة الرقمية فتعتمد على الدقة التي يحددها عدد البيكسل فيها، والتي تزيدها وضوحا وترفع من درجة لمعان الألوان فيها، وتختلف عن الصورة الصحفية انها قابلة للتعديل والتنسيق بل والتغيير ايضا، حيث يستخدم الحاسوب في تنفيذ هذه العمليات (باديس، والنجاعي، 2012: 119).

ثالثا: نقد الصورة في الفكر الغربي

لنبدأ هذا المبحث بالدراسات التي اهتمت بالجانب النفسي من الصورة، فمن المؤكد ان هناك جانب نفسي رافق حياة الصورة منذ بداياتها حتى دخولها تاريخ العالم بهذا الشكل المهيمن. وإن تم اهمال الدارسين والباحثين لهذا الجانب النفسي، إلا هناك بعض الاستثناءات القليلة كمحاولة دافيد فيكتوروف الذي أكد على سلطة الصورة واستهدافها للاشعور، فهي لم تعد مجرد لحظة للتأمل العقلي بقدر ما تعكس "اندفاعا حسيا" لتلبية ندائها. ولكن مقاربة فيكتوروف هذه تعاملت مع الصورة الاعلانية ودورها الإشهاري فقط، وهذا ما جعل الصورة واقعة نفسية من مرتبة ثانية، بعد ان حجزت المرتبة الأولى للواقعة الفكرية. لقد انحصر التحليل السيكولوجي لفيكتوروف في زوايا ضيقة مثل الوظيفة الانتباهية، الإشهار الذي تقدمه الصورة يتمثل في "إثارة انتباه" المستهدف. يذكر معزوز "مثلما يهتم التحليل النفسي بدراسة ما تخبئه فلتات اللسان، تهتم الميديولوجيا بدراسة لاشعور وسائل الاتصال والبث والترويج الرمزي" (2018: 134)، لذا فمثلما ان هناك مباحث درست لاشعور اللغة، هناك ايضا حاجة الى دراسات تحلل لاشعور وسائل الإعلام. ويحدد دوبريه Debray مهمة الباحث الميديولوجي بدراسة الأسس الفكرية اللاواعية للميديولوجيا. لكن دوبريه يتجه ببحثه عن تلك الأسس اللاواعية وجهة نقدية تماما، فهو يجد نفسه وانطلاقا من معتقداته الفكرية الايديولوجية ملزما بدراسة هيمنة وسائل الاتصال والحداثة التكنلوجية وخاصة امبريالية الصورة imperialism

de image المصطنعة تلفزيونيا أو فوتوغرافيا أو سينمائيا أو رقميا. فالصورة كما بات معروفا أهم وسيط تواصلي جماهيري.

فوكو Foucault في كتابه (المراقبة والمعاقبة: 2022) حذر من امكانية تحول الصورة الى أداة مراقبة بيد السلطة، وتحول الصورة نفسها الى خطاب سلطة (الهيمنة البصرية) وفقا لنموذج سجن البانبتكون Panopticon. وهو سجن صمم للإيقاع بالمسجونين في مرمى تلك العين المجهولة التي تمثل السلطة. السلطة دائما تتوارى، هذه هي طبيعتها، وهذا هو سر الخوف منها . لقد ركز فوكو على اعتبار الصورة كمؤسسة من مؤسسات المجتمع الحديث ذات سلطة (سلطة الخطاب البصري). واحدة من آليات سلطة هذا الخطاب التي كشفها فوكو هي الطب النفسي في كتابه (ولادة الطب السريري: 2019)، فهذا الحقل المعرفي/ العلمي تشكل أول مرة من مجموعة الأفكار البصرية حول الجنون، أي نظرتنا الى الجنون والمجنون. بهذا يكون فوكو قد اكتشف الاعماق الصورية اللاواعية لواقعنا، التشكل البصري لوجودنا في العالم، ولكنه تشكل مخيف (كعادة اللاشعور كما اكتشفه فرويد لأول مرة في التاريخ). لقد تضخمت الرؤية المرضية عند اطباء القرن التاسع عشر، حتى هيمنت على رؤيتهم للإنسان، ونتيجة لنزعتهم التشريحية الطاغية صار الانسان لديهم مجرد جثة، فالمنظور الطبي المعرفي منظور جثثي، أو على حد تعبير فوكو صار الاهتمام الطبي ليس بحيوية المريض، بل بإماتته. لقد ورث الخطاب النفسي هذه التركة الثقيلة لأطباء التشريح، ونحن بدورنا ورثنا كل ذلك.

في كتابه (المرئي واللامرئي:) اتهم ميرلو بونتي Ponty الصورة بانها تؤسس لخارجية وجودية، أي تساهم باخراج الانسان من اعماق ذاته الى العالم المادي الخارجي، وحذر من خطر التسطيح الوجودي للتجربة البشرية. مع تطور وسائل الميديا سيكون هذا التسطيح الذي خاف منه بونتي شيئا حقيقيا الى حد ما وذلك من خلال فكرة الاستعراض أو الفرجة (الهيمنة البصرية) التي سيقوم عليها ليس فقط الخطاب الاعلامي، بل ستتحكم بحياة البشر جميعا، وكما يقول ديبور الاستعراض موجود في كل مكان. سيتم خداعهم وذلك منحهم صورة زائفة مقابل وقتهم وحياتهم وفكرهم. يشكل الاستعراض اساس المجتمع الحديث، المجتمع الذي يعيد انتاج نفسه من خلال الصورة. حول صور البضائع المعروضة في السوق، والصورة في التلفزيون وفي الانترنت ينتظم هذا المجتمع، مجتمع الفرجة، مع العلم ان فكرة الاستعراض تقوم على بيعك وهم البضاعة، وليس البضاعة نفسها. حتى وسائل الاعلام لا تعطيك الحادثة ولا الفكرة، بل تقدم لك عروضا عنها، عروض تقوم

على مبدأ الافيون، أي الايهام، ولك ان تختار نوع المخدر الذي تريد. فإن كنت تريد ان تكون بطلا ما عليك إلا البحث في صور الابطال الخارقين وتركبها على نفسك بواسطة برامج الفوتوشوب، أو يمكنك ان تشاهد اعلان يخاطبك بوصفك بطلا لتتماهى معه.

اعتماد الانسان على الرؤية لتحقيق وجوده، جعلت من الصورة مسكن الوجود، بعد ان كانت اللغة – كما قال هيدغر ذات يوم– هي مسكن الوجود. في عصر الانسان الرائي لم تعد الرؤية حكرا على العين فقط، لقد اصبح الجسد كله عين. تأتي أهمية الصورة – بحسب مصطلحات بونتي– انها مزجت الإنسان/ المشاهد أو الرائي بالعالم المرئي، بعد ان تضخم حاسة العين. مع ملاحظة ان بونتي لم يقدم العين على العالم بل أسس لأولية تقدم الجسد على العقل، أي خبرة الإدراك السابقة لتكوين العقل، الخبرة التي تشكل مجالا ظاهراتيا Phenomenalism أو الوجود في العالم being in world. هكذا يصبح العالم موضوعا للإدراك بواسطة الأداة الجديدة التي يسميها العقل المتجسد، وليس الصورة. الصورة بالذات حذرنا بونتي منها، فقد تستحيل الى صنم يحبس الجسد داخله. ولكن يجب أن ننتبه الى ان حكم بونتي جاء في زمن كانت الصورة الفوتغرافية ذات بعد واحد، جامدة، بل تهدد بتجميد ما تصوره، وخاصة الجسد، اما الآن فالصورة تستوعب ابعادا اكثر من اللوحة الفنية بسبب التطور التكنلوجي في مجال البرمجيات.

لقد تحقق الشيء الكثير مما حذر منه ميرلوبونتي وفوكو، وهو ان تصبح الذات نفسها هي العين المحدقة المراقبة، لكن ليست عين السلطة السياسية، بل مجرد عين للفرجة السطحية التافهة، عين مجتمع الاستعراض الذي يتغذى على الصور المزيفة، الوهامية، فقد صارت الصور هي رأسمال هذا المجتمع المربوط عبر شبكات الانترنت. يقول جي بور في كتابه (مجتمع الاستعراض 1968) إن الاستعراض يحل محل المجتمع أو يقدم نفسه بوصفه المجتمع ذاته. اما فلسفة الاستعراض فتقوم على مبدأ التسطيح المحض حيث ان ما يتبدى أو يعرض (خاصة صوريا) وحده هو الجيد، والجيد هو الذي يتبدى او يعرض فقط. ان تحديد الواقعي أو التجربة عند ديبور بحدود الصور الاستعراضية يختزل الانسان الى حاسة واحدة هي العين، بعد ان اصبحت الحياة الاجتماعية مجرد صور. ويمكن الرد على ميرلوبونتي بالقول ان البرمجيات المتطورة وفرت للإنسان فرصة ان يتوحد مع نفسه رائيا ومرئيا، داخلا وخارجا، وقد استقام امام ناظريه الجسد/ اللحم النابض للعالم the flesh of the world. لقد ساعدت الكاميرا الانسان على صناعة مشهدية Specular لمكنونه وساعدت العالم ان يرى نفسه في وقد حضر لأول مرة حضورا شبه تام. تكمن خطورة انتقاء

الانسان ما يلائم أناه من العالم بواسطة تلك الأدوات التكنلوجية، ودون جهد يذكر في البحث عن تلك الذات، التي ربما قد تزوده الأدوات المملوكة من قبل رؤوس الأموال العالمية بذات زائفة فتزيد محنة الانسان في البحث عن المعنى ويقع في دوامة من الاغتراب Alienation. هناك جانب خطير آخر من جراء التحول الرقمي للوجود البشري، فهذا التحول سيجعل العالم صورة مرآوية للذات، يوسيلفي كبيرة، متضخمة. هنا ستتسلل اليه الأوهام والهلاوس وبدل ان تؤدي المرآة دورها في جمع شتات الذات المتشظية بل وكما بين جاك لاكان Jacques Lucan (1901– 1981) فان دور المرآة في المراحل الطفولة المبكرة هي التي تخلق هوية الذات البشرية، فتندفع الذات – من خلال التعرف لأول مرة على حدودها في صورة محددة، متكاملة– لاستكشاف/ ولادة ذاتها. هي العملية التي ستنجزها لاشعوريا بواسطة اللغة (اللاشعوري هو اللغوي).

سيذهب باحثون ربما متأثرين بميشيل فوكو، الى دراسة الصورة من منظور السلطة. من ابرزهم بودريار، حيث نصل معه الى مفهوم الصورة باعتبارها خدعة من خدع تكريس هيمنة وسائل الاعلام في الليبرالية الغربية، حيث تقدم سلطة وسائل الاعلام وشركات الاتصال صورا محاكاتية Simulacrum أو زائفة تخدع بها الجمهور الجائع للصور ابدا. الصور الرقمية التي تقدم الواقع الأعلى Hyperreality وهو عالم افتراضي او رمزي وليس حقيقي ابدا. ومثلما كانت الرأسمالية تحتكر رأس المال وبالتالي الحاجات المادية للناس، كذلك تستغل النظم ما بعد الحداثية من ليبرالية ونيوليبرالية حاجة الناس الى الصورة. مع بودريار لم تعد الصورة كما عند فوكو خطاب لسلطة الدولة، بل خطاب تتحكم به شركات الانتاج الاعلامي العالمية، وشركات الاتصال والمعلوماتية، التي تؤسس لسطلة الاشكال المحاكاتية/ النسخ. والمحاكاة هي صورة زائفة عن العالم، صور محاكاتية سياسية واجتماعية واعلامية واستهلاكية....الخ. وهذا الفارق المعرفي بين النموذجين المعرفيين يعزيه بودريار الى الانتقال الحاصل من نظام الحداثة الى ما بعد الحداثة، من السجن والمصحة العقلية والمصنع – بحسب فوكو– الى التلفزيون والحاسوب.

يشرح بودريار كيف ان الصورة المصطنعة لتفجير برج التجارة العالمي اضاعت صورة الأصل لهذا الحدث وسط زحام الصور المحاكاتية الزائفة Simulacra التي لم تكف وسائل الاعلام عن انتاجها، او لم تكف وسائل الميديا عن اعادة تركيبها. ويعزي بودريار سبب تعمد هذه الوسائل والادوات تزييف أو ترسيخ الصور المحاكاتية التي تعكس الواقع الفائق بدلا من السماح للواقعي لأخذ مكانه الى الفلسفة التي انبثقت منها تلك الوسائل، وهي فلسفة ما بعد حداثية الرأسمالية. ولكن

هل يمكن ان نذهب ابعد من ذلك السبب الثقافي– السياسي لبودريار، كأن نفترض ان قوة تأثير (شحنة انفعالية عالمية) مثل هذه الصور وتمتعها بشحنة انفعالية عالمية قد تعزى لاسباب يقع اغلبها في لاشعور الناس؟ ألا نجد ثمة دلالة سيكولوجية لاواعية لاختيار العالم لصورة بعينها من بين عشرات الصور لبلادن ومئات من عناصر تنظيمه وللقائمين الفعليين بالتفجيرات وآلاف الصور للحدث الذي غير مجرى التاريخ؟ وقبلها يأتي السؤال: كيف قامت الصورة نفسها باستيعاب الكيفية التاريخية لهذا الحدث الكبير والتعبير عنه، بحيث اتجهت عموديا وافقيا، يمينا ويسارا، وعادت الى الماضي واخذت منه، وتقدمت نحو المستقبل واستشرفته، فهي تقيم علاقات استعارية ومجازية، كل ذلك جرى خارج حدود اللقطة الفوتوغرافية؟ كيف قطعت الصورة كل تلك المسافة من نقطة الحدث الذي تمثله حتى استقرت في الذهن أو اللاشعور كصورة ذهنية أو رؤية بصرية داخلية Visualization سجلا لمخيلة الموت والقتل العشوائي على يد غير الأوربيين؟ يولد الحدث متشضيا في المسافة بينه وبين التعبير الرمزي عنه سواء عن طريق اللغة أو الصورة او أي وسيلة، ولكن لا احد يعرف كيف ولماذا يتم اختيار واحدة من الوسائل دون سواها ولا كيف قامت هذه الأداة بنسخه وتكوين صورة نمطية أو اشهارية عنه تكون حاضرة لحظة ذكره؟.

مع النسخة أو الصورة المحاكاتية التي لا اصل لها نصل مع بودريار الى المرحلة الأخيرة من تاريخ الصورة. فقد انجزت الصفقة التي عمرها قرون وتم بيع الواقع تماما – بتوسط الصورة– واستبداله بالزيف، بنسخ مصطنعة عنه، وتمت المراقبة والسيطرة التامة على الانسان بواسطة النظام الرأسمالي السيبراني. في هذه المرحلة ابتعدت الصورة كل البعد عن الواقع، وصارت لا تحاكي أي مدلول، فقط تحاكي نفسها، كما لو كانت هلوسة. فمثلا (التربية) التلفزيونية خاصة مدينة ديزني لاند ازاحت الواقع من ذهن الطفل وحلت محله، وهكذا بالنسبة للكبار حيث تحكمت في علاقتهم ببعضهم خبرات درامية ماخوذة من مشاهد تلفزيونية بعينها. ان تحويل المشاعر والعلاقات والخبرات بواسطة شفرات وتقاليد مصدرها الميديا أو التلفزيون. تخبئ هذه الصور المحاكاتية عنفا مخيفا قاتلا للواقع، يقول بودريار "الصورة قتل للواقع".

المبحث الثالث

الجانب التطبيقي: التحليل النفسي لصورة البغدادي معلنا نفسه خليفة للمسلمين

كلنا يتذكر صور بعينها جمعت حدثا كبيرا أو مجموعة أحداث، احاطتها باطار يحفظ لها وجودها، ويسهل عملية استدعائها متى اراد الجمهور ذلك. صورا هيمنت علينا وشغلتنا، وأثرت بوعينا ورؤيتنا للعالم، وخلقت رأي عام عالمي. يتفق شاكر عبد الحميد مع بودريار ان ثمة صورا فاق تأثيرها في الوعي البشري ملايين الكلمات، مثل صور الهجوم على برج التجارة العالمي في نيويورك، وصور سقوط تمثال صدام حسين في ساحة الفردوس ببغداد، وصور سجناء (ابو غريب)، وصورة الطفل الفلسطيني محمد الدرة، وصورة سقوط تمثال صدام حسين في وسط بغداد، وصور لوحات كالموناليزا، والجورنيكا، والصرخة، وغيرها من الصور التي اضحت وثائق اشهارية لا تمثل عصرها فقط، بل عصرنا وربما العصر القادم واهمية هذه الصور والصور غير المشهورة وآلاف الصور هي التي كانت السبب وراء وصف عصرنا الحالي بعصر الصورة. ويمكن ان نضيف الى هذه الصور المزيد من الصور التي أثرت في الرأي العالمي سياسيا وفكريا واجتماعيا ونفسيا، وما يزال تأثيرها مستمرا لم يتوقف عن الحفر في وعي ولاوعي الناس. فقد اشتغلت هذه الصور خارج حدود وقعها البصري، وابتعدت عن وظيفتها الاخبارية والاعلامية والاعلانية، وانتقل تركيزها من العياني والآني الى الذهني والرمزي والمخيالي واللاشعوري. الصورة نفسها تحمل رسائل وشفرات ومضامين من الممكن ترتيبها بشكل سرد بصري أو سرد حكائي أو سرد تاريخي، فهي بالتالي سردية بصرية، بالإضافة الى كونها صورا فائقة الصورية او صورا عليا استطاعت ان تنسخ جزئيا او كليا الحدث او المناسبة التاريخية التي جاءت لتمثلها. فصورة بن لادن نسخت حدث التفجير أو صارت هي المعادل الموضوعي – على الأقل بالنسبة للإعلام– لأحداث 11 سبتمبر. مثل هذه الصورة استقلت بخطاب لوحدها، ثم تهيء لهذا الخطاب ان يهيمن على بقية الخطابات والذكريات والتخيلات التي تخص الحدث.

لطالما ارتبط الاعلام بالصورة بكل أبعادها الفنية وغير الفنية كالسيكولوجية والاجتماعية والثقافية. لذا فالصورة الاعلامية Informative image لا تكتفي بلعب دور الأداة الناقلة للمعلومات والآراء كالصورة الإخبارية، كونها تحمل اهدافا وغايات من اهمها تسويق الصورة النمطية تعبيريا ودعائيا وإخباريا، وهو ما يطلق عليه علماء الاعلام (الواقعية الإعلامية المصنوعة أو المصطنعة) التي

يراد منها ان تكون صورة اكثر (كثافة) و(بريقا) من الواقع نفسه، وكل ما يشكل سر جاذبية الجمهور لها، كل حسب حاجاته ورغباته وميوله وانحيازاته وافكاره ومخاوفه وصراعاته. لهذا يعرف ستافرتل (Staffortl: 2004) الصورة الاعلامية من زاوية الطريقة التي تقدم بها الوسيلة الاعلامية الحدث، فتركز على جانب منه وتستبعد جانب او عدة جوانب فيتم ادراك هذا الجانب او الجوانب (المصنوعة) من قبل الجمهور في فئات جديدة أو غير مألوفة Unfamiliar Categories أو باعتبارها مصدرا للخطر والتهديد.

كذلك تعد الصورة في عالم الصحافة والاعلام من أهم الوسائل الإيضاحية المكملة للخبر وللموضوع الاعلامي، ولها تأثير نفسي قوي على القارئ أو المشاهد، ويعود ذلك من الناحية الشكلية الى الكثافة اللونية التي يتكون منها محتوى الصورة والمساحة التي تشغلها علاوة على مضمونها الأساسي. لهذا فالصورة تمثل قوة جذب اكثر من غيرها وهذا ما يجعل تأثيرها النفسي بذات القوة، وإلا فقدت قيمتها الجمالية والتعريفية وضعف تأثيرها النفسي (خيضر، 2022: 116). ويتفق خيضر وليلى بولكعيبات على ان تأثير الإدراك يبدأ بتكوين الصور الذهنية عن الأشياء والافراد والمنظمات ليمتد الى تفاعل الانسان بهذا العالم، فالادراك عملية نفسية تمتزج بها عوامل ذاتية بعوامل موضوعية تخص المحيط الخارجي تهدف الى تواصل الانسان بهذا العالم (بولكعيبات، د ت: 384). ويمكن تطبيق عملية الإدراك هذه عى إدراك الصور الرقمية التي ينشرها المتطرفون على مواقعهم وحساباتهم. لذا تقوم هذه الدراسة على تعقب (سرد الصورة) وايديولوجيتها، وهو يؤثر أو يحرك مكامن قوى مخيالية منها ما يتصل بالهوية السردية الجمعية للمتطرفين دينيا، أو ما يتصل بالهوية الذاتية للفرد المتطرف. إن صورة البغدادي على (منبر الخلافة) ايقظت آمال واحلام وصور وتمثلات ظلت مغمورة في لاشعور الفرد المتطرف، كما في لاشعور الجماعة المتطرفة التي تصنف تحت عنوان (السلفية الجهادية). هذه المشهدية الصورية شحنت هؤلاء عاطفيا ورمزيا وجعلتهم يصدقون بان الخلافة عادت، وان هذا الارهابي هو فعلا امتداد تاريخي للخلفاء الراشدين. ويأتي مفهوم اللاوعي الجمعي ليفسر عملية المحاكاة هذه في ذهن هؤلاء المتطرفين. يقول يونغ ان اللاوعي الجمعي يختزن غرائز وطرز أولية أو نماذج بدئية (تمثل طرق فهم فطرية لاواعية يمكن ان نطلق عليها حدس، وتحدد لنا عملياتنا النفسية) ومثل عليا ورموز كبرى وابطال اسطوريين وشعبيين تشكل قوى نفسية غير موعى بها. وهنا سنقوم بتطبيق منهج يونغ في تفسيره لصعود النازية في ألمانيا لنتعرف من خلال هذا المنهج على الاسباب النفسية وراء صعود تنظيم داعش.

يتتبع يونغ الخطوط النفسية للظاهرة النازية في الاساطير التي آمن بها الألمان منذ اقدم العصور، فتوصل الى نتيجة ان قيام الالمان بهذا الفعل (النازية) يمكن ان نجده مستبطن رمزيا في خط اسطوري هو عبارة عن مجموعة نوازع نفسية وطباع وميول وصفات جمعت تحت اسم احد الآلهة الجرمانية القديمة وهو الإله (فوطانWotan)، أو هي صفات هذا الإله، فالآلهة تشخيصات نفسية لاواعية، كما يؤكد يونغ ذلك. "فإن التوازي بين فوطان الذي بعث حيا من جديد، وبين العاصفة النفسية والسياسية والاجتماعية التي تزلزل ألمانيا، قد يكون له على الأقل قيمة الأمثال" (يونغ، 1992 :18).

بعد عدة ملاحظات وقراءات توصل يونغ في تفسيره لصعود النازية وشخصية هتلر الى هذا التفسير النفسي الاسطوري، حيث مد يونغ خطا تحليليا سيكولوجيا من نقطة الحاضر (النازية) ليصله بأسطورة إله العاصفة والغضب فوطان Wotan – كفرضية نفسية– كاشفا عن تأثيراته، بل استلاب واستحواذ Ergriffenheit على حياة الأمة الألمانية. اما بالنسبة للأفراد فيقول يونغ انه بين الحين والآخر يقع واحد منهم تحت تأثيره (المباشر) الذي لا يقاوم، وهذه المرة كان هتلر الذي حوله فوطان من رسام فاشل الى الفوهرر Fuhrer.

وبالمقارنة بالعامل الاقتصادي والعامل السياسي كاسباب قيام الاشتراكية القومية (النازية) يرجح يونغ السبب النفسي، وبالذات نهوض روح هذا الإله في اللاوعي الألماني. فوطان رمز لثقافة قبلية وثنية سابقة للمسيحية، ثقافة ترفض العقلانية والوعي، وتعلي من شأن الحرب والقتال والغضب والانجذابات والهوامات والرؤى، وهو ما يفضي بالنهاية الى قهر الجسد وتمجيد الموت. وهذا النمط جسدته (حركة الشبيبة الألمانية) الذين شكلوا الحركة الهتلرية التي اركعت ألمانيا بكل جبروتها وتاريخها، كذلك جماعات (القمصان السود) الذين جسدوا المحاربين الأشداء Berserkers الذين التفوا حول ملوك اسطوريين. أو الألمانيات المظليات في سلاح الصاعقة الألماني، واللواتي كن تمثلا للنسوة الهائجات Maenads في الاسطورة.

ان الشخصيات الاسطورية عند يونغ هي تمثلات لقوى نفسية مستقلة بذاتها، "لقد شخص الحدس البشري هذه القوى في هيئة آلهة ووصفها في الأساطير وصفا مفصلا ودقيقا تبعا لشخصياتها المختلفة" (يونغ، 1993: 21). لهذا فقد أثرت هذه القوى بإثارة الفوضى السياسية التي اجتاحت ألمانيا والغليان الروحي وسيادة النبوءات التي تتحدث عن عودة الرايخ الى سالف عهده الأول واضعا العالم كله في قبضة النسر.

وهنا يبرز السؤال الأهم : كيف أثرت صورة البغدادي في جمهور كبير من المتطرفين وغير المتطرفين؟ والجواب، ان الصورة تمتلك العديد من طرق التأثير، ولكن سنقتصر على اختيار واحدة فقط من طرق التأثير "المفتاحي" بحسب تسمية كارل يونغ Jung ان الصورة كانت بمثابة الصاعق أو "مطلقة الشرارة" (يونغ، 2018: 40) لتنفجر بعدها صور الارهاب والتفجيرات والقتل التي ملئت شاشات وسائل الاعلام والميديا وشبكات الانترنيت. تداعيات اعلان الخلافة متعددة– على سبيل الافتراض– منها ما جاء على المستوى النصي، ومنها ما هو بصري. ومن هذا الأخير سيتفرع منه الاشهاري والرقمي والاعلاني والاعلامي ...الخ. لهذا سنفترض ان لبعض الصور تأثيرات سيكولوجية عميقة في النفوس، ولهذا يتم الاستجابة لها استجابة يغلب عليها الطابع اللاشعوري، وقد يكون سبب هذه الاستجابة هو اللاشعور الجمعي Collective Unconscious والذي يحيل الى الأنماط الفطرية Archetypes أو النماذج الأصلية، والدور الذي لعبته الرموز في تاريخ الاديان والمجتمعات والجماعات، وكما هو بين فان هذه النماذج تتخطى عتبة the threshold اللاوعي الفردي. حيث يجب تفسير رمزية الخلافة ضمن سياقها الذي يمنحها بعدا تاريخيا لدى المسلمين، وبالتحديد ببعض الشخصيات التاريخية والمعارك (الفتوحات) القديمة، وسيشكل السرد – بكل ما يحمله من قصص تاريخية وشعبية وامثال واشعار واساطير – الوسيط المناسب لربط صورة البغدادي بفكرة (الخلافة) وفكرة (الخلافة الأخروية) ايضا، وهما صورتان من أهم صور البطولة وخاصة البطولة الانقاذية الخلاصية في التاريخ العربي، المكتوب وغير المكتوب. ومرة اخرى يجب التنبيه ان هذا الربط لن يكون كله موعى به، فسيأخذ اللاوعي حصة منه، والمرضي حصة اخرى، فقيام مجموعة كبيرة من الناس بالقتل من اجل حكمهم باسم الخلافة تستمد شرعيتها ليس فقط من بعض النصوص والمرويات التراثية، بل وايضا من تخيلاتهم المرضية. يمكن ان نعزي بعضا من قوة التأثير النفسي الصورة الارهابية الى الإشهار الذي منحته لها وسائل الاعلام العالمية. وحينما تصبح صورة ارهابية ما اشهارية فانها ستمتلك القدرة على ايقاف دفق الخطاب والاحالات والعلاقات لتعيد صياغة كل ذلك لصالح موضوعها، فالصورة جاءت كجزء من سياق خطابي يعتمد النصي المكتوب والملفوظ، ولكن وبسبب الاشهار استطاعت أن تقطع علاقة المنتج أو المرجع بوظيفته الاستعمالية، لتحل بدلا عنها وظائف جديدة. الصورة تولد من سياق خطابي نصوصي أو سيميائي لكن تقفز لتعلي من اشارة ما جاعلة منها حدثا تحيا فيه العلامة حياة جديدة. اما سبب هذا الإعلاء لعلامة مجهولة وجعلها مشهورة ومركز عليها الاضواء فيعود لأسباب تتعلق

بحاجة وسائل الاعلام للإشهار، فالاشهار مناسبة تتفوق فيها تلك الوسيلة على ذاتها وروتينها اليومي. هكذا تعاملت وسائل الاعلام مع الصورة الإرهابية، وهكذا ظلت تصنعها وتعيد اصطناعها. وكما رصد بينينو البعد النفسي اللاواعي للإشهار حيث ذهب الى ان الإشهار هو "صناعة المعنى"، وان المستهلكين يبحثون داخل الاشهار لا عن السلعة بقدر بحثهم عن "نمط في الحياة" أو صورة ناصعة للذات أكثر بطولية (بن كراد، 2019: 256). هذا ما يتم تركيز علامات عليه من جهة المرسل، اما من جهة المرسل اليه فتترجم الرسالة الى مشاعر وصور ذهنية ورغبات وذكريات وانفعالات. فالصورة تعمل كالصاعق الذي يفجر الطاقة الاستهوائية الداخلية، الطاقة التي تتحقق في الاستيهام، في الاشباع المؤجل وليس الاشباع المباشر.

لم تكن ظاهرة داعش كلها عقلية تماما، او يمكن ان توصف بأدوات ومفاهيم عقلية وأن تخضع لتفسير عقلاني، فهناك جانب لاعقلاني Irrational وغير واقعي يشكل هذه الظاهرة التي شهدت غياب أو فقدان شبه تام للعقل، هذا الجانب مؤكد هو من طبيعة نفسية. فالانتماء الى التنظيم قد يكون نابعا من اسباب نفسية، لا يفهم المنتمي اغلبها. وفكرة هذا البحث تقوم على تفسير مساهمة الصورة (الارهابية) في دوافع الانتماء. اما لحظة تحقق المعنى الكامل للارهاب (والتي اخترنا ذروتها صورة البغدادي وهو على منبر جامع الموصل الكبير) فلا يكتفي لوصفها مصطلحات كالاعقلانية واللامعقولية، بل تصل احيانا الى الباثولوجيا الاجتماعية. وإذا ما استعنا ببعض مفاهيم يونغ في وصف حالات مشابهة انتابت الشعب الالماني فترة صعود النازية (وهي شكل تاريخي من اشكال الارهاب والتطرف العنيف) فإننا سنلاحظ اعراض هستيريا Hysteria كثيرة برزت حال صعود التنظيم في عام 2014 والتي جسدها الاعلام بشكل احتفالي اشهاري وهذا وحده يمنح أهمية كبيرة لصورة صعود البغدادي على منبر جامع الموصل في عام 2014. هذه الأهمية هي التي سببت بتحريض المتعاطفين وتخويف الرافضين من الجمهور العادي. لقد عملت هذه الصورة جسرا بين اللاوعي الفردي والوعي الجمعي بالمعنى اليونغي، ومكنت (غريزة القطيع) من الفرد، واطلقت قوى الشر والغرائز الجماعية المكبوتة من عقالها. لقد توسطت كصورة لبطل Hero المنقذ لتعوض المتطرفين أو المضطربين نقصهم للسلطة والقوة المخزنة في النماذج البدئية والرموز في اللاوعي الجمعي. إن الحشد يعوض – بما يمتلك من صور ورموز وتخيلات القوة والسلطة – الفرد الضعيف أو المتعطش للقوة، بعدها تبدأ عمليات المقاربة والتماهي Identification بين هذه الرمزيات والنماذج وبين شخص الزعيم من اجل رفعه الى مستوى البطل بدافع من موتيفة فطرية

Innate motif واسطورية قديمة راسبة في اعماق الانسان اللاواعية. يعرف يونغ البطل "كيان شبه بشري يرمز للأفكار والقوى التي تشكل الروح/ النفس أو تستولي عليها" (عناني، 2017: 244). وهكذا نعثر على صورة البغدادي داخل نفوس هؤلاء الموتورين والمتطرفين قبل ان نجدها وقد برزت بشكل احتفالي بدائي (يختلط فيه الوعي باللاوعي) في وسائل الاعلام. ان من أهم اسباب تفجر هذا الظل بالذات (الجانب الغرائزي واللاخلاقي) من اعماق المكبوت التاريخي اللاواعي عاملان، (أولا) الظروف القلقة التي عاشها أو يعيشها هؤلاء المتطرفين، و(ثانيا) قابليتهم للإيحاء (لهذا فيصبح بالنسبة لهم الدهمائي Demagogue الكبير). لقد اصبح البغدادي بالنسبة لهم هو الظل (ظلهم) حامل غرائز القتل والشهوة للدماء، لكنه تخفى في الأنا الأعلى ليمارس غريزة الموت Death instinct كفعل اخلاقي أو واجب ديني. ويشير يونغ الى ان القداسة Holiness أو الشخص المؤله Idolized figure تولد من ازدواجية الاضداد Opposites البدئية أو الفطرية التي تعود الى مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يقسم الطفل يقسم الشيء Splitting (علاقات الموضوع) الى خير وشر بدءا بصورة الأم التي يسقط عليها النموذج البدئي للأم الكبرى، ليشمل كل ما يراه من العالم. وينبه يونغ ان هذا الانفصال غير دائم، بل التركيب Synthesis أو وحدة الاضداد هي من يدوم في الحياة النفسية، وهي من يولد الرموز (عناني، 2017: 242). لهذا فان افعال شديدي التطرف تفتقر الى التبصر بل تبرر انحرافهم وتشوشهم ودمويتهم، ويضيفون اليه نظرة اعجاب من داخله بكل هذا الركام الهستيري لذواتهم. بعد تحقيق شيئا من الانتصارات العسكرية بدأ جمهور المتطرفين في كل العالم بتصديق ان الظاهر امامهم في الصورة معلنا الخلافة هو البطل الذي ينتظرونه ودون ان يعوا مطابقته بما رسب في لاوعيهم الجمعي من نماذج البطولة. عوامل عديدة (من اهمها الاعلام وشبكات الانترنيت) تجعل من دائرة تصديق صورة الخليفة تتسع اكثر فاكثر لتشمل جمهور واسع.

يبني يونغ فكرته هذه على افتراضين الأول هو التشابه البنيوي بين سيكولوجية الفرد وسيكولوجية الجماعة، ومثلما تؤدي – هذه القوى اللاواعية اذا ما ظلت مكبوتة داخل الفرد ولم تتسامى أو تصعد الى الوعي– الى العصاب وحتى الى الجنون، فانها ايضا تؤدي الى نفس النتائج في حالة الجماعة، حتى تصل– او كما تتجسد– في الدولة التوليتارية. واوضح حالة يمكن مشاهدة هذا التوازي بين الفرد والجماعة هو أوقات الاضطرابات. لقد لاحظ يونغ ان أولى محتويات اللاشعور الجمعي بدأت تطغى في احلام مرضاه وايضا سلوك الناس العاديين ممن لديهم معاناة، بعد الحرب

العالمية الأولى على شكل رموز جماعية ميثولوجية اتسمت بالعنف والشراسة بدائيين. وكانت هذه الرمزيات تجتذب اليها عدد كبير من الناس دون ان يعلموا بسر تلك القوى الخفية التي تدفعهم للتصرف بهذه الطريقة. وهنا يبرز دور أي زعيم يتمثل هذه القوى ويصير شكلها المقبول ورمزها المأمول (كما في اسطورة المغني الأكبر Avalanche) بالنسبة لجمهور المكبوتين والمهزومين والمضطربين (يونغ، 1993: 70– 71). اما افتراض يونغ الثاني فيقيمه على اساس ان الاديان القديمة التي تسمى الوثنية والتي تمجد القتل والعنف والتضحية ما تزال حية في عالمنا المتحضر، انها تنفجر بكل قوتها التدميرية بين الحين والآخر كما حدث مع النازية وحاليا مع داعش، يقول "إن آلهتنا المخيفة لم تغير سوى اسمائها: لقد باتت الان تضبط إيقاعها على المذاهب الفلسفية والإيديولوجية" (يونغ، 1993: 95) وكما لاحظنا اعلاه، فان الخطورة تأتي من الجماعي بالذات، فقد اثبتت التجارب ان الفرد يسلك مندفعا داخل الجماعة اضعاف سلوكه منفردا لأنه توحد مع سيكولوجية القبيلة Mass Psychology. ثم ان هذه الأنا الجماعية بكل ما تحمله من مخزون سيمثلها البطل. تزداد حاجة الناس الى صناعة هذا البطل أوقات التهديد النفسي، ويزداد تأثيره عليهم عندما تبدأ عملية التماهي Identificathion معه. والتماهي يعني عند يونغ ضربا من التأثير السحري في الذات الذي يحدثه الاسقاط (التماهي بالإسقاط Projective identification)، ويتحول معه الزعيم موضوع التماهي الى نوعا من صورة الأب الأولية Primal father ، بل الى صورة الأب المرهوب المخيف.

حفز مشهد الانتصار (الزائف) الاحتفالي الذي جسدته صورة اعلان الخلافة انفجار المكبوت الجمعي بالنسبة لقطاع من المتطرفين خاصة الذين يشعرون دائما بالمظلومية والسخط والدغمائية والنفور من الغموض والمتصلبين واشباههم، فجاءت هذه الصورة لتسد ما يعانوه من نقص لطالما كبتوه، لهذا اضفوا على المشهد من حقائق ارواحهم ومعتقداتهم ووجداناتهم ما لا يحتمل، وصارت افكار التنظيم كعودة الخلافة ونهاية العالم حقائق نفسية قوية، على الرغم من عدم مصداقيتها. اما بالنسبة لحاملي استعداد المرض النفسي فقد دفعتهم لحظة الصورة هذه للإصابة المباشرة بالوباء الهستيري، وبسرعة فائقة تفجرت من دواخلهم قوى التدمير واصبح منظر الجثث في شوارع الرقة والموصل أمر عادي جدا بل يشعرون باللذة إزائه، وارتكب كثير منهم عمليات القتل والذبح بأيديهم. هكذا اصبحت مشاهد الذبح عند الكثيرين حاجة نفسية يطلبونها فيلبيها لهم قادة التنظيم. بالمقابل يصبح الموت واقصد إماتت النفس أمرا عاديا كمشاهد الجثث واحيانا حاجة كالحاجة الى مشاهدة

القتل الفرجوي والاحتفالي في الساحات العامة، يقول يونغ واصفا تلك الجماهير بانها "اجتاحها جنون ملطخ بالدم، جنون حرب إبادة ... الذين سمحوا لأنفسهم أن يسوقهم إلى مسلخ الذبح كأغنام منومة قادة بهم لوثة في عقولهم" (يونغ، 1993: 60). لهذا فان هذه القوى البدئية اللاواعية هي من الشدة بحيث – في لحظات الاضطرابات– تحطم الحواجز النفسية والموانع الحضارية الاخلاقية. وبحسب يونغ فان سيكوباثولوجية (المرض النفسي) الجمهور متجذرة في سيكولوجية الفرد، ولكنها تنتشر على هيئة أوبئة نفسية (يونغ، 1993: 69).

ثانيا: نتائج الدراسة

لقد توصلت الدراسة – بهذا الخصوص– الى ان هذه الصورة تمثل اختزال مرئي لمجموعة متفاعلة من العناصر منها ما هو ايديولوجي وسيكولوجي وسيسيولوجي، ومنها ما هو رمزي ومخيالي ...الخ. في هذه الصورة عثرنا على خطاب الصورة، أي الصورة وما وراء الصورة، من تقاطعاتها مع الارشيف الصوري والارشيف المكتوب والارشيف المسموع، أي كل ما انتجه الخطاب المتطرف حيث يتم استحضارها كخبرة أو ذكرى أو معلومة.

كما هناك اساطير وايديولوجيات مؤسسة هناك ايضا صور تأسيسية، وكما أن هناك نماذج لاشعورية كونية هناك ايضا صور نماذجية كونية. طبعا يجب ان ننتبه هنا الى ثمة فارق مهم هو ان الصور التي ذكرناها اعلاه لم تستمد قوتها من مقدس يقع خارجها، بل ان هذه الصورة استمدت قوتها ورسوخها في ثقافة جزء كبير من العالم من مقدس دنيوي هو الإعلام. من خصائص هذه الصورة "تمكن الصورة من الولوج الى عوالم واقعية أو متخيلة، وإلى عوالم مرئية أو غير مرئية، وهي في كل الأحوال تلبي أعمق الحاجات الإنسانية كالحاجة إلى التمثل الذاتي والحاجة الى تمثل العالم" (معزوز،2014: 147).

التأثير النفسي للصورة الارهابية على هذه الفئات، أي دراسة الآليات النفسية لاشتغال الصورة الارهابية، وقد اخذ التأثير مستويين: الأول يخص المتطرف المتأثر بالخطاب الارهابي، المحدد بدائرة الارهاب (ينتمي الى احد الجماعات المتطرفة المسلحة وغير المسلحة). والثاني: العابر لدائرة المستهلكين للخطاب المتطرف، وهم الناس العاديين الذين ترعبهم الافعال الارهابية وهم يشاهدونها من على شاشات التلفزيون أو شبكات الانترنت. وفي هذه النقطة سنعثر على الاجابة

عن السؤال المركزي: لماذا صورة واحدة اصبحت أيقونة دالة على الارهاب العالمي كله؟ قد يعزى الأمر لسياسية وسائل الاعلام ومالكيها، وقد يعزى لتعبيرية الصورة، وقد يعزى للرغبة النفسية والمعرفية المتأصلة في النفس البشرية وميلها للمختصرات والتنميطات والقولبة. وانطلاقا من ايمان هذه الدراسة وتبنيها وجهة النظر السيكولوجية فإنها أميل الى تبني السبب الأخير، فحينما ترسخ الصورة ذهنيا فإنها تنمو عابرة حدودها الأيقونية، لتستدعي خبرات وصور ذهنية وغير ذهنية، حتى تصبح الصورة نفسها بؤرة تشابك لانطباعات وأفكار وصور ذهنية ونماذج بدائية لها غاية ما، وبهذا تصير هي نفسها قالبا أو نموذجا، أي تصبح – عبر الخطاب– صورة للعالم، وهذا ما يحدث مع الصور المقدسة، فهي صور تمثل رؤية العالم World view في عيون متبنيها والمؤمنين بها.

ووجدت الدراسة ان المنتمين للتنظيم ممن يحملون جنسيات غير عربية كانوا اكثر تأثرا بالصور الارهابية التي يشاهدونها عبر شبكات الانترنت، وان هذه الشبكات السوداء تلبي جزء من حاجاتهم النفسية الى الهوية والانتماء. فنلاحظ ان الكثير منهم يتعرض الى اعادة تعريف هويته (يمنح اسما وزيا وهيئة وعلاقات وعمل)، ومن خلال هذا الفضاء الالكتروني السيبراني تبرز لديه (الذات السيبراني). وسط هذا العالم المتشابك العناصر والمؤثرات على حالته يبرز تأثير الصورة، حيث صرح العديد من هؤلاء لوسائل الاعلام انهم بقوا يشاهدون صورا ومقاطع فيديو بثها التنظيم لمدة طويلة، وانهم قد اكتشفوا عالما آخر يفتقدونه، يشبع حاجتهم للعنف أو للسلطة Power ويصرف طاقتهم العدوانية، او يقدم لهم هوية جديدة تلبي خيالاتهم الاستهامية وتلبي حاجتهم للانتماء Affiliation.

ان واحدة من اسباب قوة تأثير الصورة الارهابية يعود الى الإشهار الذي وفرته لها وسائل الإعلام المحلية والعالمية. يخبرنا سعيد بن كراد (2019) ان الاشهار يعتمد على سلسلة من الاستيهامات والتوجهات الرغبوية التي تتسلل من الحواس الى الوجدان دون ان تطرق باب الشعور، ودون ان تأبه لرقابة العقل والمجتمع. لذا فان عمل الصورة يجري على المستوى اللاشعور ك"اندفاع حسي نحو الفعل والانتشاء بعالم يتم في عوالم الاستيهام قبل أن يتجسد في واقع الاستهلاك الحقيقي". يلعب الاشهار هنا دورا خطيرا إذ يشبه جسرا لامرئيا تعبر من خلاله الصورة الى "عوالم مخيالية تحتفي بما يمكن أن يشكل مضافا رمزيا الى الحياة المحدودة للفرد" (بن كراد، 2019 :251). من مصاديق الخدمة غير المقصودة التي قدمتها وسائل الاعلام للحدث الارهابي انها حولت على

سبيل المثال انفجارات 11 ايلول الى حدث صدمي جماعي Psychological Schock. وتدخلت سائل الاعلام بانها أطالت من آثر الصدمة وتوسيع حجم الاستثارة الانفعالية ومضاعفة شدتها، لهذا اسفرت تلك العلاقة بين العولمة والصورة الارهابية الى تحويل عنف هذا الحدث الى عنف كوني، مما سهل ظهور اعراض ما بعد الصدمة PTSD الجماعية على جمهور لم يشهد الحدث ولم يكن قريب جغرافيا عنه. لقد شهدنا كيف لعب الاعلام دورا في تعميم الخبرة الصدمية للحدث. من جهة اخرى فتح هذا الحدث الباب امام حضور قوي لنظرية المؤامرة، ومعتقدات نهاية العالم، وبعض المعتقدات التوهمية الاخرى.

ان الصورة الاعلامية Informative image هي صورة تخضع لعمليات تصنعها وتنتجها وتصدرها، هذه العمليات تحمل نظامها الثقافي الخاص، ومنها يتم صناعة رموز الرسالة الاعلامية. يجب ان ننبه الى وقوف الجهاز الاعلامي لداعش (ديوان الإعلام) وراء صناعة رمزية البغدادي كقائد وخليفة. لقد استغل هذا الجهاز التقدم العلمي التكنلوجي وبروز ظاهرة العولمة ووصول وسائل الاعلام والاتصال الى أعلى نسبة من البشر. النقطة المهمة الاخرى بخصوص وسائل الاعلام، ليس فقط زيادة عدد المستقبلين بل تفاعلهم وتأثرهم ذهنيا وانفعاليا وقيميا وسلوكيا.

ثالثا: التوصيات

وفي ختام هذه الدراسة توصل الباحث الى عدد من التوصيات يسعى من الجهات المعنية – بشأن مكافحة الإرهاب والحد من نفوذ الجماعات المتطرفة ومروجي خطاب الكراهية بشكل عام – الأخذ بها. وهذه الجهات ليست محددة بحدود، فهي تبدأ بالمواطن ولا تنتهي عند المشرع، ولا عند رجل الأمن، ولا الإعلامي، بل الجميع مشترك بها، ويبقى المواطن هو الحلقة الأهم في سلسلة الحفاظ على آمن بلده، لهذا يجب أن يكون جميع المواطنين هدفا.

ومن أول تلك التوصيات التي استنتجها الباحث من بحثه هي حث المؤسسات الحكومية الأكاديمية وغير الأكاديمية ان تولي حقل دراسة الصورة أهميته المستحقة، وأن تعقد المؤتمرات والندوات والورش التي تبين كيف استطاع مجموعة من الإرهابيين تحقيق اهدافهم التدميرية اعتمادا على الصورة، ولماذا تصدرت الصورة خطابهم الترويجي والاستقطابي.

كذلك توصي الدراسة المعنيين باتخاذ القرار السياسي الحكومي سواء في ممثلية الأمن الوطني أو في وزارة التعليم العالي فتح (وحدة دراسات الصورة الإرهابية) حيث تعنى بتقصي وتحليل كل ما ينتجه التنظيمات المتطرفة من صور، وتثقيف جميع المعنيين الأمنيين بهذا الجانب، فقد توصلت الدراسة ان الصورة (الإرهابية) خير معبر عن الفكر الإرهابي وما يجول في أذهان المتطرفين، وإن تحليلها يكشف جانبا من تفكيرهم ونواياهم.

وتوصي الدراسة ايضا تخصيص برنامج تلفزيوني من قبل محطة مهمة (بإشراف شبكة الإعلام العراقي) يتولى هذا البرامج الكشف عن الاساليب الدعائية المضللة التي انتهجها تنظيم داعش وعلى راسها الصورة، وكذلك تأتي اهمية مثل هكذا برنامج لتحذير المواطنين وتحصينهم بثقافة علمية ضد خطاب الحركات والتنظيمات المتطرفة الأخرى، سواء اعلنت عن نفسها، أو لم تعلن عنها.

قائمة المصادر والمراجع

أغرول، نيل كريششان. (2023). التضليل الإعلامي لدى تنظيم الدولة الإسلامية. ترجمة خالدة حامد. العراق– دار المأمون للترجمة والنشر.

باديس، مجاني، ونجاعي سامية. (2021). سيكولوجية الصورة الرقمية في ظل الميديا الحديثة. الجزائر. مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 18، العدد 1.

بن كراد، سعيد. (2019). تجليات الصورة: سيميائيات الأنساق البصرية. المغرب– المركز الثقافي العربي.

جولي، مارتين. (2011). مدخل الى تحليل الصورة. ترجمة علي اسعد، سوريا– دار الينابيع.

حسن، لؤي مجيد. (2016). الشائعات وسقوط مدينة الموصل "دراسة في انواع الشائعات التي رافقت سقوط المدينة والإجراءات الحكومية لدحضها". مجلة آداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، العدد 73.

ديبور، جي. (1994). مجتمع الاستعراض. ترجمة احمد حسان. مصر– القاهرة، دار الشرقيات.

دوبريه، ريجس. (2013). حياة الصورة وموتها. ترجمة فريد الزاهي. المغرب– افريقيا الشرق.

عناني/ محمد. (2019). علم النفس التحليلي عند كارل جوستاف يونغ: دراسة ومعجم. مصر– القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع.

عبد الحميد، شاكر. (2015). عصر الصورة– السلبيات والإيجابيات. الكويت– عالم المعرفة. العدد 311.

عبيدات، عبد الله حسين، وميسون جرادات. (2015). سيكولوجية خطاب الصورة الفنية: البنية والتحولات. مجلة كلية الفنون الجميلة، الأردن.

فوكو، ميشيل. (2019). ولادة الطب السريري. ترجمة إياس حسن، الدوحة– المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

فوكو، ميشيل. (2022). المراقبة والمعاقبة– ولادة السجن. ترجمة علي مقلد، المملكة العربية السعودية– صفحة سبعة للنشر.

فوكو، ميشيل. (2019). ولادة الطب السريري. ترجمة إياس حسن، الدوحة– المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

لوبرتون، دافيد. (1997). أنثروبولوجيا الجسد والحداثة. ترجمة محمد عرب. لبنان– بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

مهدي، إنجي محمد. (2012). الجهاد الإلكتروني: دراسة لتنظيم داعش واستراتيجية الولايات المتحدة لمواجهته. مجلة المجلد الثاني والعشرين، العدد الثاني. جمهورية مصر العربية– جامعة القاهرة.

مرلو– بونتي، موريس. (2008). ترجمة وتقديم عبد العزيز العيادي. الامارات العربية– المنظمة العربية للترجمة.

معزوز، عبد العالي. (2014). فلسفة الصورة: الصورة بين الفن والتواصل. المغرب– الدار البيضاء، افريقيا الشرق.

يونغ، كارل غوستاف. (1992). النازية في ضوء علم النفس. ترجمة نهاد خياطة. بيروت– المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

يونغ، كارل غوستاف. (2012). الإنسان ورموزه: سيكولوجيا العقل الباطن. ترجمة عبد الكريم مقصود. دمشق– سوريا– دار تكوين.